



فلب
سكوت

ليلي الموسى

سجود قلب

ليلى الموسى

ح/ ليلي عبدالرحمن الموسى، ١٤٣٨ هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الموسى، ليلي عبدالرحمن
سجود قلب. / ليلي عبدالرحمن الموسى - الدمام، ١٤٣٨ هـ
٩٧ ص، ١٤ × ٢١ سم
ردمك: ٨-٤-٢٩٠٢-٠٣-٦٠٣-٩٧٨

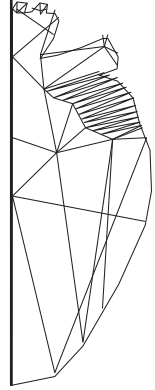
- الصلاة أ. العنوان
ديوي ٢٥٢، ٢
١٤٣٨/٩٧١

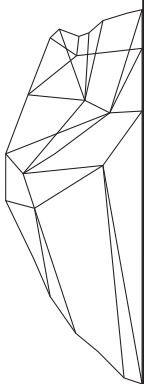
رقم الإيداع: ١٤٣٨/٩٧١
ردمك: ٨-٤-٢٩٠٢-٠٣-٦٠٣-٩٧٨

مقدمة

ربِّ اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ... ربِّ وتقبل دعاء.
 ربِّ اغفر لي كل صلاة صليتها بجسدي، وغاب عنها قلبي.
 ربِّ هب لي قلباً خاشعاً، وذهناً حاضراً ... فقد سئمت.

إهداء
إلى صلاتك و صلاتي
إلى سجودك و سجودي
إلى قلبك و قلبي





اهتداء

في رحلة البحث عن محضن لهذا
الكتاب، اهتديت إلى مشروع تعظيم
قدر الصلاة، فلهذا المشروع العظيم
القدر صادق دعائي.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه
وأزواجه وتباعه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين
وبعد:

فهذا الكتاب "سجود قلب" يأخذك أخي القارئ الكريم إلى حيث
ما يجب أن يكون قلبك ، إلى هناك حيث المعنى الحقيقي للصلاة المقامة
الخاشعة ، الصلاة التي يتجلى فيها الشعور القلبي بعظمة رب العالمين
الرحمن الرحيم مالك يوم الدين سبحانه وتعالى، كل ذلك بأسلوب أدبي
رائع ، ووقفات إيمانية مؤثرة ، وومضات تربوية هادفة.

قد أحسنت الكاتبة . بتوفيق الله لها . في الدخول إلى عدد من معاني
الصلاة العميقة، ابتداء بوقفات مع النفس الإنسانية وبعض طباعها ذات
التأثير على صلاة المؤمن، ومروراً بعلاقة الصلاة بواقع حال أمة الإسلام،
إلى المعنى الحقيقي للحياة، إلى أن تجاوزت الكاتبة بمعاني الصلاة حدود
هذه الحياة "الدنيا" إلى الحياة الثانية "الآخرة" حيث الجنة وأجواءها
الإيمانية، ونعيمها الدائم وهي تشير بذلك إلى أن الجنة التي يدخلها
القلب الساجد في الدنيا هي جنة الصلاة.

سئل أحد الصالحين هل يسجد القلب ؟ قال نعم. والله يسجد
سجدة لا يرفع منها إلا في يوم القيامة.

ندعو الله تبارك وتعالى أن يحيي قلوبنا بالإيمان واليقين، وأن ينور
بصائرنا بالعلم والمعرفة.
وأن يزيدنا من فضله العظيم.

ونحن في مشروع "تعظيم قدر الصلاة" بمكة المكرمة يسرنا أن نتعاون
في إيصال معاني هذا الكتاب لأكبر شريحة ممكنة من المصلين و إلى كل
مسلم يريد أن يحيا بالصلاة من جديد.
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ،،،،

المشرف العام على مشروع تعظيم قدر الصلاة
بمكة المكرمة
د. عبد الكريم بن عوض السلمي

قبل أن

نبدأ لنرفع شعار الصلاة للاستمتاع بالحياة، لنعيش بالصلاة حياة
 آمنة مطمئنة، تملؤها الثقة بعظمة الله وعلاه، شعار نرفعه لمشروعنا
 الاستثماري السماوي وهو إقامة الصلاة بما يتناسب مع قدرها العظيم.
 لم أصادف في حياتي شخص لا يصلي، ربما لأن أغلب الناس لا
 يفشون أسرارهم مع خالقهم، ولا يجاهرون بالمعاصي.
 لكن رأيت في نفسي ومن حولي رغبة دفينية في أداء أفضل وإقبال
 أجمل على الصلاة، التي أمر بها في السماء السابعة، وصلاها سيد الخلق
 وأذن بها بلال.
 فالصلاة لي ولك ولنا جميعًا، فاسجد واقترب.

هذه السطور ليست في فقه الصلاة وأحكامها هي فقط في معنى الصلاة وروحها. هي للباحثين عن لذة الصلاة، وعن الشوق إليها والسكينة فيها، والقرب بها، والغنيمة منها، كل هذا في الصلاة! نعم، وأكثر.

هل تتذكر أول صلاة صليتها؟

كم كان عمرك يا ترى؟

هل تتذكر مشاعر الفرحه واللهفة والارتباك؟

هل تتذكر خجلك وابتسامتك قبل أن تبدأ تجربتك الإيمانية الأولى؟

أين ذهب الشوق وكيف غابت اللهفة!

أكتب لنفسني ولك هذه الصفحات.

السؤال الكبير



تساءل أحد الشباب يوماً فقال:

صليت دهرًا من أول بلوغي إلى الآن، ولكن لا أتذكر صلاة واحدة، أقطع أي حفظت تفكيري فيها من الشرود، بدءًا من التكبير إلى التسليم... أليس هذا أمر محزن! إذا لم نتمكن من الخشوع أفلا نتمكن من التركيز والتدبر لما نفعنا وما نقول في الصلاة... أخواني هل أنتم مثلي؟ ألا تعينوني.

انتهى.

لفت انتباهي تساؤل هذا الشاب عندما كنت في مرور عابر على أحد المنتديات، فمن منا لا يشغله موضوع الصلاة! إن القلق والتأمل الذي في تساؤل الشاب، هو ذاته القلق الذي نشعر به، فهناك من يصرح وهناك من يلمح، وآخر يخفي ولا يبدي... وهما نحن نبدي ولا نخفي.

فمن منا لا يعلم أن الصلاة هي ثاني أركان الإسلام، وأنها عمود الدين، وأن تركها جحوداً يخرج من الإسلام، وأنها أول ما يحاسب عنه العبد يوم القيامة، وأنها يترتب عليها باقي أعماله إن صلحت صلح باقي العمل.

ومع ذلك تجد أحداً يقوم متوضئاً وقد عقد النية على صلاة ربما تكون الأخيرة! ما يلبث أن غاب وعيه في أحداث الماضي، ومفقودات الحاضر، وبين خطط المستقبل! مالذي يعتري المصلي فيخرج من الصلاة كأنه لم يدخل فيها؟! لا يتذكر السور التي قرأها، ولا يشعر إلا بالصلاة تنتهي بالتسليم، لقد نسي ما قرأ وما فعل.

لنبداً من حيث انتهينا، من آخر صلاة قمنا بأدائها، ربما كانت صلاة رتيبة خالية من معنى الأنس بالقرب من الله، ومن معنى الخشوع والخضوع إلا قليلاً، تنقصها الانسيابية ومشاعر الشوق.

إنها لمشكلة، أن تكون صلاتنا مظهر بلا جوهر، وشكل بلا مضمون. كم بلا كيف، متقنة جداً على مستوى الشكل والهيئة، خارجة عن إطار الوعي، ونعلم أن من شروط قبول الصلاة ما كان في مجال الوعي. وقد سمعنا حديثاً عن عمار بن ياسر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إِنَّ الرَّجُلَ لَيَنْصَرِفُ وَمَا كُتِبَ لَهُ إِلَّا عَشْرُ صَلَاتِهِ تُسْعُهَا ثَمَنُهَا سُبْعُهَا سُدُسُهَا خُمُسُهَا رُبْعُهَا ثُلُثُهَا نِصْفُهَا)^(١).

(١) أخرجه أبو داود في سننه، باب (ما جاء في نقصان الصلاة)، حديث رقم (٧٩٦) ٢١١/١.

قال رسول الله ﷺ: (صلوا كما رأيتموني أصلي)^(١). فهل صلاتنا كما صلى رسول الله ﷺ؟ هل كان يصلي بجسده فقط؟ وهل نحن مأمورون بالمتابعة للحركة الظاهرية للصلاة وترك روحها وحقيقتها؟ إن الصحابة الذين نقلوا لنا هذا الحديث رأوا في صلاة رسول الله ﷺ صلاة ظاهرة بين العبد وربه.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، باب: (الأذان للمسافر إذا كانوا جماعة)، رقم (٦٣١) ١/١٢٨.

كان مصعب بن عمير رضي الله عنه، أعطر شباب مكة وأوفرهم حسنًا وبهاء. كان في ريعان شبابه عندما تمكن من أن يقنع الكثير من الناس في المدينة المنورة بالدخول في الإسلام فكان مصعبًا مشروغًا شبابيًا، ومؤسسة دعوية دون مكاتب ولا موظفين.

والسؤال الكبير: لماذا غابت الصلاة عن وعينا وهي بهذه الأهمية العظيمة؟

لا ندعي معرفتنا الإجابة على هذا السؤال، لكن سنخرج على ملامح في النفس البشرية قد يكون لها أثر مباشر أو غير مباشر:

- النسيان الذي عليه الإنسان جُبل، وهو صفة أودعها الله في النفس البشرية وبه يتعدى همومه وأحزانه. لكن كثيراً ما تتولد منه الغفلة، والغفلة كما عرفها المناوي: هي فقد الشعور فيما حقه أن يشعر به. وقد أشار إليها فيلسوف المغرب، الدكتور: طه عبد الرحمن في كتابه: "روح الدين"؛ حيث قال: (كلما تأملت أحوال الإنسان في هذا الزمان، واستغرقت في هذا التأمل، لم أزد إلا يقيناً بأنه لا كائن أنسى منه؛ حتى إني لو خيرت في وضع تعريفه، فما كنت لأعرفه بغير كونه الموجود الذي ينسى أنه ينسى، ولو خيرت في اشتقاق اسمه فما كنت لأقول غير أنه اشتق من لفظ: "النسيان" بدل لفظ "الأنس"؛ وحتى لو صح أن اسمه مشتق من "الأنس"، فما كنت لأعتقد إلا أنه أنسى بما يجعله ينسى ما لا ينبغي نسيانه؛ لحرصه على بقاء نسيانه إنه ينسى كل شيء يذكره بأنه لا يملك من أمره شيئاً، لا خلقاً ولا رزقاً، ينسى أنه كان في ظلمات بعضها فوق بعض، بدءاً بظلمة العدم، وانتهاء بظلمة الحس، ينسى أنه لم يخلق ذرة من ذرات بدنه، ولا نسمة من نسيمات روحه، كما ينسى أنه كان في فاقات

بعضها أشد من بعض، بدءاً بفاقة النور، وانتهاءً بفاقة العلم؛ ينسى أنه لم يرزق عينه بصراً، ولا أذنه سمعاً، ولا لسانه نطقاً. ينسى هذا وما دونه وما فوقه؛ حتى كان له النسيان ذكراً، وهل النسيان أشد من أن ينسى من لا ينساه ولا يغيب عنه أبداً؟ ومن هو أقرب إليه من نفسه، ومن يحول بينه وبين قلبه؟ (...).

- وفي طبائع الإنسان طبيعة التعود، فالممارسات المتكررة، تتحول إلى عادات لا يتطلب تنفيذها جهداً ذهنياً، ويقوم بها بشكل آلي، كإغلاق باب السيارة أو تناول الطعام أو الاستحمام وغير ذلك. حتى الصلاة ذلك الركن الركين، في حين غفلة منا قد تتلاشى عن وعينا، نؤديها خارج نطاق القلب، بعيداً عن نبضه، وعن سمعه، وبصره.

إن تكرار الصلاة خمس مرات في اليوم مظنة دخولها في عالم العادات، لذلك لا بُدّ من ضبط الذات وحملها على التدبر، إلى أن تغمرها الطمأنينة، ومشاعر رقيقة من الحب والقرب من الله، فتحدوها لا تنتظار الصلاة بعد الصلاة.

حين نصلي بوعي عفوي تلقائي، لا يتطلب مجهوداً ذهنياً كبيراً، لن نمتنع من مزاولة أنشطة ذهنية أخرى أثناء الصلاة. والذي نحتاجه في صلاتنا هو الوعي التأملي وهو على عكس الأول، يتطلب حضوراً ذهنياً قوياً، ويرتكز على قدرات عقلية عُليا

كالإدراك، والذاكرة، والتركيز، ومن ثمة فإنه يمنعنا من أن نزاول أي نشاط ذهني آخر أثناء الصلاة.

- نحتاج إلى الجدية لنعظم قدر الصلاة قلبياً كما نعظمه ذهنياً، ونقلص مساحات التهاون والضعف، ونتخلى عن خبراتنا الأولى ومفاهيمنا السابقة.

- العبث الذهني، أو ما يعرف باسم الشرود الذهني، أو بالسرحان وهو: عدم اكتراث بالذهن وإهمال له، وتشاغل بأمور أخرى لا تمت إلى الواقع بصلة. ألم يأمر رسول الله ﷺ الرجل بأن يعيد صلاته ثلاث مرات، وهو يقول له صلّ فإنك لم تصلي! مع أنه صلى ثلاث مرات! فقد نفى عنه رسول الله ﷺ صفة الصلاة بالكلية، لأن صلاته تفتقر إلى الطمأنينة وكان ينقرها نقر الغراب، أي بحركة سريعة فكانت صلاته صلاة صورية، فأراد رسول الله ﷺ من الرجل أن يصلي صلاة حقيقية مطمئنة، فالصلاة بلاطمأنينة تكون عبثاً على النفس على الرغم من سهولة أدائها وجمال حركتها.

يا قلب

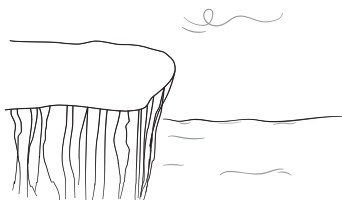
* * * *

متى يا قلبُ تأنسُ بالصلاةِ
أُيعقلُ أن تصلي كلَّ حين
فلا تدري إذا صليتَ ماذا
و حتى في سجودِ السهو تسهو
تصلي كي تريحَ النفسَ منها
أراك اليومَ يا قلبي عجولا
و ما أدركتَ ما تبغي و لكن
لهوتَ و لم تنل باللهو أنسا
أتوقُّ لأن أصلي في خشوعٍ
فعُد يا قلبُ من بحر التمني
و تنسى عندها همَ الحياةِ
و تغرقَ في بحار الأمنيات
تلوتَ و كم ركعت بذِي الغداةِ
فقل لي كيف تُقبل لي صلاتي
و لا ترتاحُ فيها من شتاتِ
إلى اللذاتِ تخشى من فواتِ
هي الأهواءُ تنفرُ من عظامِ
كبرتَ و لم تذق طعمَ الثباتِ
و أنسى بالخشوعِ الحلو ذاتي
و عدني أن تصلي في أناة^(١)

* * * *

(١) الشاعرة الأحسائية ليلي العصفور .

لماذا نصلي؟



قد نصادف في حياتنا أشخاصًا يأسروننا بمثالياتهم وبأخلاقهم الرفيعة، بتواضعهم، ورحابة صدورهم، وأمانتهم، وحبهم للخير، وهم مع ذلك لا يصلون أبدًا فما هي حاجة أمثالهم للصلاة؟

هذا السؤال تبادر إلى ذهن عائشة رضي الله عنها فسألت رسول الله ﷺ عن مصير ابن جدعان، حيث كان رمزًا للمثالية في العهد الجاهلي، فالكرم والشجاعة وحسن الخلق صفات برز فيها بروز لا يساميه فيها أحد. فأجاب رسول الله ﷺ بكل وضوح بأنه من أهل النار! والحديث ثبت في صحيح مسلم أن عائشة رضي الله عنها قالت: يارسول الله إن ابن جدعان يطعم الطعام ويقرى الضيف فهل ينفعه ذلك يوم القيامة؟ فقال: (لا إنه لم يقل يوماً رب أغفر لي خطيئتي يوم الدين).

ابن جدعان أنموذجًا للشخص الذي يحسن للآخرين ويسيء إلى نفسه! ويخون على الآخرين ويعنف نفسه! يطالب بحقوقهم ويظلم

نفسه! لقد أهدر ابن جدعان وكل من سار على دربه حقه الطبيعي في الحياة، عندما سد منافذ النور، وتنازل عن حقه في العبودية التي خلق من أجلها، فالصلاة حق منحنا الله إياه، به تكتمل آدميتنا وبدونه نكون أيتام، وعالة، وضلال، يتم حقيقي! لأنه انقطاع الصلة بالخالق الباري الموجد، وعالة معوزين مهما كنزنا من الكنوز، وضلال مهما ادعينا المعرفة.

قال الحافظ ابن القيم -رحمه الله-: (إن في القلب وحشة لا يزيلها إلا الأنس بالله في خلوته، وفيه حزنٌ لا يذهبه إلا السرور بمعرفته وصدق معاملته، وفيه فاقة لا يرفعها إلا صدقُ اللجأ إليه، ولو أُعطي الدنيا وما فيها لم تسد تلك الفاقة أبداً).

الصلاة في أصل تشريعها كما قال الدكتور إبراهيم السكران: (وفي ذاتها مقاصد مطلوبة، ومحبوبة لله، فإن الله يحب أن يرى عبده يسجد، ويركع، ويقنت، فالمقصود الأولي من العبادة أن الله يحبها قال ﷺ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ (٢١٧) الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقْلُبُكَ فِي السَّاجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿الشعراء: ٢١٧-٢٢٠﴾) (١) وهذه ميزة للمصلي فالله يراه حين يقيم صلاته ويسمعه وهو يناجيه في حال السجود فلا تسل عن مشاعر الأنس والراحة والصفاء، والنقاء.

إن أصعب وأسوأ قرار يتخذه شخص ما، هو قرار بأنه لن يصلي!

(١) كتاب مآلات الخطاب المدني للد. إبراهيم السكران.

ربما الكثير لم يجدوا صعوبة في اتخاذه، ذلك لأنه يبدأ فقليل من التهاون والتفريط في بعض الصلوات، ثم يفرط فيها أيام فأسابيع فسنوات، والبعض يتخذ قراره بترك الصلاة! نتيجة لحزمة من الأفكار والتصورات والأهواء، متناسيًا صغره أمام عظمة الله، متناسيًا أنه كان شيئًا متناهيًا في الصغر، فهذا التناسي والتجاهل لحقيقة وجوده، يُخلّ بتصوراته وتقديره للأمور، فتعظم ذاته وتتضخم الأنا، ويظن في نفسه الظنون، إلا أن تدركه رحمة الله فيهديه إلى الصراط المستقيم، فإذا عاد وتاب فلا يسئل عن فرحة الله بعودته وتوبته وأوبته.

أترككم للحظات مع الدكتور نجيب الزامل ومقاله الرائع يوم تركت الصلاة .

(السّر في الصلاة أنها لا تغير العالم. الصلاة تغيرنا نحن. ونحن نغير العالم.

كنتُ شابا صغيرا، وكانت التياراتُ تلاحقنا في كل مكان، في كل كتاب، في كل نقاش، كانت أيام الثانوية أصعب أيام، وهي أيام الشك والحيرة، والضياع والزوغان بين مدارس الفكر الوضعي وأخذ الفكرُ يجرفني تماما وبعيدا عن الروح المتصلة بالسماء؛ حيث اليقين كل شيء، حيث الإيمان هو الشمس التي تسطع من بعيد، ولكنها أقرب لك من أي عنصر في الكون؛ لأنها طاقة الوجود، فضعت كثيرا، وتجبرت بما

سفحت من معلومات وكتب، وظننت أنني في تلك السن الباكورة قد جمعتُ سحرَ العلوم، وكأني خيميائي المعرفة.

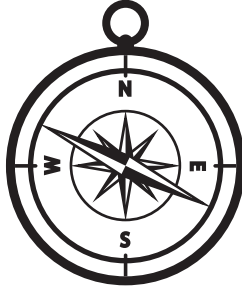
وانفتنتُ بنفسي، وأرى أستاذي، وأكاد أطل عليه بمكابرةٍ من علٍ، لماذا لم تعد تصلي؟ سألني أستاذي بحدة عميقة، فأجبتُه: وهل تغير الصلاةُ العالم؟ فأجابني إجابة طيرت عقلي، وخلخت أركانَ نفسي التي ظننت أنها مكيّنة. نعم الصلاة لا تغير العالم، ولكنها تغيرنا فنغير نحن العالم.

ويوماً مرضتُ، وقال لي الطبيب: آسف يا نجيب، ستموت لا محالة بعد تسعة أشهر! كنت في مدينة تاكوما الساحلية بأمريكا، ورحتُ وحيدا إلى تلة خضراء، ورأيت المحيط الجبّارَ شاسعا أمامي، ولا شيء إلا أنا، والسماء، والماء، والموت، والحياة. وسألت نفسي هل أغيرُ شيئا؟ ورحت متأملا، والدموع تنفر فتغطي شساعة المحيط بسرابية مهيبّة مبهمة، وفجأة، قفزت تلك العبارة إلى رأسي: الصلاة تغيرنا، ونحن نغير العالم. وبسرعة ذهبت إلى حيث أقيم وأبرقت لأستاذي تلك الجملة بلا مقدمات ولا خواتيم، وردّد علي: لقد استردك الله، عش مطمئنا.

أعظم صلاة أخذت بمجامعي كانت على ساحل الأطلسي في تاكوما الأمريكية، وعرفت أن الله حق، وعرفت ما معنى الحق؟ وأن معناه النهائي في السماء لا في الأرض، ولم أُمِتْ حتى الآن^(١).

(١) يوم تركت الصلاة، نجيب الزامل.

إلى أين؟



وفي رحلة البحث عن الذات في الصلاة، يتنامى إلى أسماعنا أصوات تبحث عن موقع أمة الإسلام، أمة الصلاة بين الأمم. فتراها في الصف الأخير. لا سيما بعد انفتاح المجتمعات العربية على الغرب بغرض العلم أو السياحة؛ ابتداء المثقفون والعوام يقارنون بين تحلف بلدانهم وتقدم الغرب. يرون أخلاقيات الإسلام بين برلين ولندن ولا يرونها في الرياض والقاهرة، فيقعون في الخطأ! إذ يقارنون بين أداء المسلمين في مجتمعات إسلامية متأخرة حضارياً، وبين الغرب المتقدم، فتتصادم المفاهيم وتثور التساؤلات، أين دور الصلاة في صلاح الفرد والمجتمع؟ أليست الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر؟ فما بال الفحش والتخلف يتفشى في بلاد المسلمين! لماذا لم تنهى الصلاة عن الكذب والرشوة والمماطلة... فيحدث اللبس عندما تُحسب أخطاء المسلمين على الإسلام. ولكي لا نخلط الأمور ولا نحمل الصلاة أخطاء البشر لنستعرض

بعض المفاهيم:

- غياب المقاصد الاجتماعية للصلاة وسائر العبادات، عن ممارسات المسلمين اليومية، فالعبادة تأمل وتدبر وتفكر وخضوع، فالقلب الخاضع الخاشع قلب شفاف، تنفذ إليه أشعة النور، فيرى على بصيرة من ربه. فغياب الشعائر عن وعي المسلم وعزلها عن تفكيره وإحساسه أظهر صورًا من التناقض، فقد تجد من يحافظ على الصلاة، ويحرص على سننها ونوافلها لكنه لا يرى بأس في التأخر عن وقت الدوام، كما أن إنتاجيته ضعيفة، يهمل ولا يدرك أن في الإهمال خيانة للأمانة.

- الخداع النفسي: قد تخدع النفس صاحبها، وتخدع إحساسه بالذنب؛ من خلال إعطائه إشارة بأنه مادام يصلي فهو خارج نطاق الخطر؛ فترسل له رسائل ضمنية (افعل ما شئت) فيقع في أخطاء تمس الجماعة المسلمة، وفي القرآن الكريم آية تتوعد المصلين (ويل للمصلين) الذين تتحقق فيهم ثلاث صفات:

١. عن صلاتهم ساهون- لا يكثرثون بأوقاتها ولا بطريقة أدائها.
٢. يراؤون- فهم مظهر بلا جوهر.
٣. ومنعون الماعون- ليس لهم مبادرات إغاثية بل يقفون في وجه طريق الإغاثة بالتشكيك في أعمال الإغاثة أو في مدى حاجة المساكين.

- التوبة الكاذبة: وهي تتولد من المفاهيم الخاطئة للمغفرة ومحو الخطايا وهي توبة بحاجة إلى توبة نصوح. فتعليق الأماني على محو الصلاة للخطايا، جسّرت القوم على مقارفة المعاصي، ولسان حالهم ومقالمهم يقول إن الصلاة ستمحو، والله غفور رحيم.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: (أرايتم لو أنّ نхра باب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات، هل يبقى من درنه شيء؟ قالوا: لا يبقى من درنه شيء، قال: فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا)^(١).

فحديث النهر الذي لا يبقى من الأدران شيء، لا ينسجم مع واقع المصلي الذي يصر على المعصية من غيبة و تساهل، و تقاعس عن الواجب الاجتماعي، من أمر بمعروف و نهي عن منكر، و إصرار على حياة رتيبة لا تغيب عدو و لا تسر صديق، فالصلاة التي لا تفك عقدة الإصرار على الذنب، كيف يعوّل عليها في مغفرة الذنوب. إنّ آية محو الخطايا توضحه الآية في قوله: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٧] فالتوبة القريبة قرينة السوء غير المتعمد، و الجهالة التي وردت في الآية حالة ضعف، و فترة نقص إيمان، و لحظة طيش و خفة، و هي جهالة موقوتة

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، باب: (الصلوات الخمس كفارة)، رقم (٥٢٨) / ١ / ١١٢، ومسلم في صحيحه، باب: (المشي إلى الصلاة تحي به)، رقم (٢٨٣) / ١ / ٤٦٢.

سرعان ما تزول ، و يعقبها التذكر فيندم العصاة ثم يتوبون من قريب .
وفرق بين جهالة العصاة الموقوتة سريعة الزوال، وبين جهالة
العصاة المستمرة.

فجهالة التائبين السريعة يصدر عنهم (السوء) بصيغة المفرد .
أما جهالة العصاة الدائمة فتصدر عنهم السيئات بصيغة الجمع
﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ
الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ
أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النساء: ١٨] .

- مفهوم الكم والكيف:

اهتمام أغلب الصالحين بالكم طغى على الكيف . والقرآن
الكريم لم يمدح الكم إلا في مجال ذكر الله ﷻ: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا
وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥] ولا شك
أن الاستكثار من الأعمال الصالحة، مدعاة للحياة الطيبة في الدنيا
والفوز في الآخرة، لكن الانشغال بالكم على حساب الكيف، قد
يفرغ العبادة من معناها.

فالاستغفار والحمد والتكبير، إذا أوكلنا مهمتها للسان،
و عزلناها عن التفكير والعاطفة ستكون مفاهيم لفظية، لا
علاقة لها بإحساس الإنسان و فاعليته قال رسول الله ﷺ:
(ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أن الله لا يستجيب

دعاءً من قلب غافل لاه^(١) فالقلب بما يعتريه من مشاعر الوجل والحب والرغبة يلعب دوراً عظيماً في استجابة الدعاء. عَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: (لَأَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالِ هِمَاءَ بَيْضٍ فَيَجْعَلُهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَبَاءً مَنْثُورًا) قَالَ ثَوْبَانُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ صِفْهُمْ لَنَا، جَلِّهِمْ لَنَا أَنْ لَا نَكُونَ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ، قَالَ: (أَمَّا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ وَيَأْخُذُونَ مِنَ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللَّهِ انْتَهَكُوهَا)^(٢).

فالمذكورون في الحديث لم يأتوا من كوكب آخر، وإنما هم بشر مثلنا، يعيشون بيننا يتحدثون لغتنا، ظاهر أمرهم الصلاح، وعلامة صلاحهم حرصهم على قيام الليل، كما أنهم يتصدرون مجال الحسنات دائماً. لكنهم أخفقوا في معيار النزاهة. وكلمة انتهكوها تدل على حالة تأهب للمعصية، ينفصل فيها المصلي عن قيمه، والنهك في اللغة: المبالغة في الشيء.

إن انتهاك محارم الله يتطلب جرأة غير محموددة، وهي حالة من الفصام بين السلوك والمعتقد، فرمى هذا المصلي لا يقع في الغيبة، لأنها ليست هواه، لكنه يتجرأ على المواقع الإباحية في فضاء الشبكة العنكبوتية الواسع، يعبُّ بعينه وقلبه ولسانه وشفتيه، لا ترده صلاته

(١) أخرجه الترمذي في سننه، رقم (٣٤٧٩) ٥/٥١٧.

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه، باب: (ذكر الذنوب)، رقم (٤٢٤٥) ٢/١٤١٨.

ولا حسناته التي ستطير في الفضاء الواسع كما تطير الهباءة.

المعنى الحقيقي للحياة



عندما ظهر اتجاه حديث يشير بنظرية العلاج بالمعنى على يد الدكتور النمساوي فيكتور فرانكل، والذي طور نظريته العلاجية على الأساس الافتراضي، بأن المعنى في الحياة اليومية هو جوهر الوجود، تفاجأت الأوساط العلمية والإعلامية بنتائج دراسته التي أثبتت أن معاناة الشباب من ضعف، واكتئاب، وارتباك، أصله من المعاناة الوجودية. وأن الاهتمام بالمعنى والهدف هما الاهتمام الأساسي للناس وليس المال أو الخوافز.

فعندما ننهمك في الحياة، تظهر لنا تفاصيل كثيرة وصغيرة، ما تلبث أن يتغير حجمها فتبدو كبيرة ومهمة جداً، ثم يتولد منها تفاصيل أخرى فيزيد أهميتها، وتصبح الكماليات ضرورات، ويتغير ترتيب الأولويات. حينئذ سيكون الهدف باهتاً، ويتلاشى شيئاً فشيئاً، ويبدأ الشعور بالضياع والبحث عن هدف، فالارتباط بالمعنى الحقيقي للحياة، يحول

دون الهدر والشتات في تفاصيلها. من هنا تنطلق قيمة الذكر والعبادة، فإلحاق المسلم على أذكاره في جميع حركاته وسكناته، بدءًا من استيقاظه إلى نومه، ومن خروجه من بيته إلى عودته، يعدُّ صيانة يومية للمعنى العظيم في حياته، وهذا ما أراد الصحابي المبدع أبو هريرة رضي الله عنه أن يلفت الأنظار إليه؛ إذ قام بترتيب أولوياته في الحياة؛ عندما فطن لضخامة الهدف الذي يسعى لتحقيقه، فالهدف الذي أمامه كبير جدا والوقت قصير جدا، هدفه العظيم كان ميراث النبوة، والمدة التي صحب فيها رسول الله ﷺ كانت ٤ سنوات فقط!

ابتدأ بترتيب سلم الأولويات، فتلاشت أمور حياتية كثيرة، وكانت التضحيات بكل ما يعترض طريقه، فقد ضحى بكل شيء، حتى بالطعام، ولم يكثرث بآثار الجوع التي تبدو في وجهه! فلم يكن لديه وقت لتأمين مصروفات احتياجاته اليومية، فعاش مع أهل الصفة. وكان تقدير رسول الله ﷺ جليًا لهذا التفرغ العلمي، فإذا عرف الجوع في ملامح أبي هريرة رضي الله عنه بادر بتأمين وجبة سريعة من بيته أو من بيوت الصحابة المفتوحة.

لقد صنع الإصرار والشغف بالعلم ذاكرة بشرية معجزة، فاقترن اسم أبي هريرة رضي الله عنه بأكثر الأحاديث التي دُوِّنت، لقد تحقق الهدف في وقت قياسي، في ثلاث سنوات فعلية فقط بعد أن استثنى سنة كاملة ربما قضاها في السفر، فقد اقتضت الأمانة العلمية بأن ينوه أبو هريرة

ﷺ إلى ذلك.

إذن رأى أبو هريرة ﷺ أن المعنى الحقيقي للحياة هو أن ينشغل الناس بالعلم، وليس بضرورات الحياة وكمالياتها، فخرج الصحابي المبدع ذو الشخصية العلمية للسوق ذات يوم، فوجد الناس يبيعون ويشترون بأهماك شديد، فلم يقتنع بذلك! فأقبل على الناس وهو يقول: (يا أهل السوق: إن ميراث رسول الله يقسم وأنتم هنا! ألا تذهبون فتأخذوا نصيبكم منه! فقالوا: وأين هو؟! قال: في المسجد. فأسرع الناس إلى المسجد ثم رجعوا إلى أبي هريرة فقال لهم: مالكم رجعتم؟! قالوا: يا أبا هريرة: قد ذهبنا إلى المسجد، فدخلنا فيه فلم نر فيه شيئاً يقسم! فقال: وماذا رأيتم؟! قالوا: رأينا قومًا يصلون، وقومًا يقرؤون القرآن، وقومًا يذكرون الحلال والحرام، فقال لهم أبو هريرة: فذاك ميراث محمد) (١).

لم يكذب أبو هريرة ﷺ وحاشاه الكذب، لقد وجه النداء إلى الناس عامتهم وخاصتهم، وجعلهم يخوضون التجربة، ليكتشفوا بأنفسهم أن أعظم ميراث ديني وعملي وأخلاقي وأدبي واقتصادي واجتماعي، هو ما تركه رسول الله ﷺ، فهذا معنى عظيم من معاني الحياة فهمه أبو هريرة ﷺ.

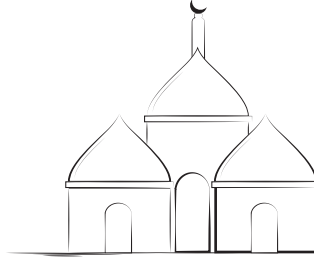
إذن أين مكان الصلاة في هذه السلسلة من المعاني؟

مكانها في القلب! في قلب السلسلة، فأنشطة الحياة اليومية

(١) صحيح الترغيب، الألباني.

كالوظيفة والمواعيد، مرتبطة بالتحول الظاهري للشمس، من غروب،
وعتمة، وسحر، وإشراق، وزوال، وأصيل.
فربما يطغى الانهماك بها على معنى الحياة.
لذلك ارتبطت موعد الصلاة بكل تحول ظاهري للشمس، ليتذكر
المسلم طبيعة وجوده في الحياة.

بيوت الله



الصلاة عبادة عميقة الأثر وكل ما يرتبط بها له قيمة حضارية وجمالية، فالجمال العمراني للمساجد يطبع الأحياء المسلمة بطابع الهدوء والسكينة، وما يميز الطابع المعماري للمساجد أنها تصاميم مفتوحة خالية من التعقيد، فناء يجتمع المصلون فيه ومئذنة يصدح فيها المؤذن بكلمة التوحيد، أما كثرة الزخارف فلا تتناسب مع جوهر الصلاة، فالمسجد ليس مكاناً للفنون، ولا يزال المسجد الكبير في شنيق يطبق بنموذجه الرائع. لا تزال النفوس مأخوذة ببيوت الله، بيوت تقوم على التجرد والعبادة. لذلك كانت المشاركة في إنشائها مشاركة قيمة تستحق الموعود الجميل من الله وهو بيت في الجنة.

عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلّى الله عليه وآله قَالَ: (مَنْ بَنَى مَسْجِدًا لِلَّهِ كَمَفْحَصِ قِطَاةٍ، أَوْ أَصْغَرَ، بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ) ^(١).

(١) صححه الألباني.

مهما ساهمت الحياة المادية في بعدنا عن الطبيعة و دلالتها، نجد أنفسنا
 أمامها وجهًا لوجه! بل وجهًا لوجه أمام هذا الطائر المدهش، الذي انفرد
 ببناء بيته على بسيط الأرض، تاركًا أعالي الشجر و رؤوس الجبال لغيره
 من الطيور.

لقد افتتن العرب بطائر القطاة وضربوا به الأمثال فالمثل العربي الشهير (أهدى من قطاة) دليل على تميز هذا الطائر، فالقطاة لا تضل الطريق إلى الماء أبداً، ومفحص القطاة هو المكان الصغير الذي تحفره في الأرض، لتضع بيضها فيه... كم هو صغير!

وكما تهتدي القطاة لطريقها، يهتدي الإنسان لطريقه في الحياة، فيحفر الأساس لبناء صروح أمته العظيمة... بيوت الله.

وفي هذا الإطار كتبت جميلة المرأة الفلسطينية التي اعتنقت الإسلام عندما قادتها خطاها إلى مسجد في حيّ المسلمين الذي لا يبعد عن الحي الذي تعيش فيه.

(لم أكن أعرف لحياي معنى ولا هدفاً، سؤال ظل يطاردني ويصيني بالرعب كل حين: لماذا أحياء؟ وما آخر هذه الرواية الهزلية؟ كان كل شيء من حولي يوحى بالسخف واللامعقول؛ فقد نشأت في أسرة كاثوليكية تعني بتعليمي هذا المذهب بصرامة بالغة، وكانوا يحلمون أن أكون إحدى العاملات في مجال التبشير بهذا المذهب على مستوى العالم، وكنت في داخلي على يقين أن هذا أبداً لن يحدث.

كنت أستيقظ كل يوم عند الفجر، شئ ما يحدثني أن أصلي كي أخرج من الضيق الشديد والاكتئاب الذي كان يلزمي في هذا الوقت، وكان ذلك يحدث أيضاً عند الغروب، وفعلاً أخذت أصلي على الطريقة النصرانية؛ فهي الطريقة الوحيدة التي أعرفها، إلا أن إحساسي

بالفراغ الروحي ظل يطاردني ويسيطر علي رغم صلواتي المتتابة! كنت متعطشة لشيء آخر، لم تكن لدي أي صورة واضحة عنه، كانت الدموع تنهمر من عيني كثيرا، وكنت أدعو الله أن يمنحني النور والبصيرة والصبر، وازددت هما وقلقا، وراح الفراغ يطاردني والحيرة تتملك حياتي بما فاض تماما عن قدرتي على الاستيعاب...

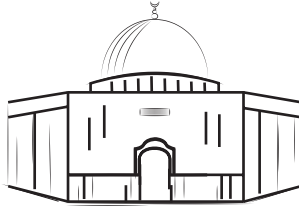
وفي أحد الأيام ومع ازدياد حالة التوتر أحسست برغبة قوية تدفعني للبحث عن مكان للصلاة لا صور فيه، وبحث عن ذلك المكان طويلا حتى وجدته أخيرا، مسجد صغير جميل في أطراف بلدتنا بين المروج الخضراء في وسط حقول الأرز، لأول وهلة عندما وضعت قدمي على أعتابه دق قلبي بعنف، وانشرح صدري وأيقنت أنه المكان الذي حدثني نفسي طويلا للبحث عنه...

وعلمتني إحدى المسلمات كيف أتوضأ؟ وكيف أصلي لله الواحد القهار؟ وشاركت المسلمين الصلاة لأول مرة في حياتي، وعندما بدأت الصلاة غمرتني السكينة ولفتني الطمأنينة كما لم يحدث لي من قبل، وعندما سجدت لله مع جموع المصلين فاضت روحي بسعادة لا حدود لها، لقد شعرت أنني سأطير فرحا بعثوري على هذه الصلاة...

الصلاة هي تماما ما كنت أتعطش له، لقد أصبحت صديقتي المحببة، ورفيقتي الدائمة التي أتخلص معها من كل ضيق ومن أية معاناة، لقد ودعت الاكتئاب إلى الأبد فلم يعد له أي معنى في حياتي بعد أن هداني الله جل وعلا للإسلام وأكرمني بحب الصلاة، ولا أجد ما أقول

تعليقا على هذا سوى: الحمد لله الذي هداني لهذا وما كنت لأهتدي
لولا أن هداني الله).

رحلة السماء



ربما لا يعلم البعض أن الصلاة هي العبادة الوحيدة التي لم تفرض في الأرض، ولم تفرض عن طريق الوحي بواسطة جبريل عليه السلام، وإنما فرضت مباشرة من الله ﷻ للرسول وتطالب فرضها رحلة خارقة للعادة، ومعجزة من العلي الحكيم الذي لا يعجزه شيء. وصدق من سماها فريضة السماء.

فرضت الصلاة في ظرف طارئ على البشرية، لم تعرف مثله من قبل ولا من بعد. حدث لم يتكرر؛ فهو حصرياً لرسول الله ﷺ رحلة في فضاء السموات وملكوت الله عز وجل تكريماً وتثبيتاً له، وتخفيفاً من أثر معاناته بعد فقدان زوجته المخلصة الداعمة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، ومن أحداث أخرى.

رحل بجسده وروحه لسبب ذكرته الآية الأولى من سورة الإسراء بعد أن استهلت بالحادثة وهي: ﴿لُتْرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا﴾ [الإسراء: ١] تطميناً له

وتشريفاً وتحفيظاً من معاناته وتعويضاً لفقده. لكن كانت هناك مشكلة! من سيصدق هذه الحادثة لولا أن مُحَمَّدًا بن عبد الله هو ضيف هذه الرحلة، والمتحدث الرسمي عنها، ذلك الرجل الذي تشرفت به الإنسانية، المترع بجمال الأخلاق، الذي هوت إليه أفئدة الناس، فلم يملكوا إلا أن يحبوه؛ فهم لم يروا ما تحدث عنه، لكنهم رأوا شخصه رأي العين، رأوا صدقه وأمانته وسموه، رأوه صورةً براقَةً يليق بها ركوب البراق.

موقع الحدث: مكة، وتحديدًا الحطيم في البيت الحرام.

تاريخ الحدث: بعد السنة العاشرة من الهجرة بعد وفاة خديجة عليها السلام، وتحديدًا بعد عودته من الطائف مباشرة. فقد عاد من الطائف مثخنًا بالأسى من صمود القبائل وأسلوبهم السيئ في تكذيبه، وفي أقدامه الشريفة جروح وكدمات، من قبيح فعل سفهاء القوم.

عاد إلى مكة حيث المسجد الحرام؛ فنام وقت العشاء، وبينما كان مستغرقًا في نومه، إذ بجبريل يوقظه، فاستيقظ... فماذا رأى؟

رأى دابة بيضاء متوسطة الحجم، طلب منه جبريل ركوبها وأخبره عن الرحلة، كان كعاداته شجاعًا ثابتًا؛ فاستوعب الحدث بسرعة، فركب ثم انطلقت به بسرعة، وبيانه الرائع، وحديثه السلس، وصف سرعة الدابة وانسيابية حركتها، بأنها تضع حافرها حيث ينتهي بصرها، أي في الأفق... دابة تختصر المسافات وتصل في لحظات، ثم هاهي تصل لتستقر في بيت المقدس.

تفاصيل رائعة تنقلك إلى موقع الحدث، وها هو رسول الله يربط البراق بحلقة في المسجد الأقصى، كأنك تراه داخل المسجد الأقصى إماماً وقائداً، فحدث ما حدث.

وصلى نبينا بالأنبياء، نعم الإمام ونعم المأمومين، ثم صعد جبريل بالنبي إلى السماء، واجتاز الفضاء، وسبر أغوار الكون، ورأى ما رأى من عظمة الله. ابتداءً الدخول في ملكوت السموات باستئذان جبريل عليه السلام لصعود السماء الأولى، ثم الثانية، فالثالثة، فالرابعة، فالخامسة، فالسادسة، ماراً على الأنبياء، مقرين له بالنبوة، بعد أن أنكرها أهل الأرض.

رأى سدرة المنتهى، تغشاها ألوان وأنوار، وقيل فراش من ذهب. هناك كانت جنة المأوى فلا عين رأت ولا أذن سمعت، في ذلك الموقف الرهيب فرضت الصلاة، فعاد رسول الله إلى أمته بالفريضة الغالية.

يا لعظمة نفس رسول الله ﷺ! كيف عاش هذه اللحظات ثم عاد للأرض يكمل حياته فلم تتغير نظرته لنفسه ولا معاملته للخلق!؟

لنقض قليلاً من الوقت في قراءة الحديث برواية صحيح البخاري:
(بَيْنَمَا أَنَا فِي الْحَظِيمِ، -وَرُبَّمَا قَالَ: فِي الْحِجْرِ- مُضْطَجِعًا إِذْ أَتَانِي آتٍ فَقَدَّ، قَالَ: وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: فَشَقَّ مَا بَيْنَ هَذِهِ إِلَى هَذِهِ -فَقُلْتُ لِلْجَارُودِ وَهُوَ إِلَى جَنْبِي: مَا يَعْنِي بِهِ؟ قَالَ: مِنْ ثَعْرَةٍ نَحَرَهُ إِلَى شَعْرَتِهِ، وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: مِنْ قَصَبِهِ إِلَى شَعْرَتِهِ- فَاسْتَخْرَجَ قَلْبِي، ثُمَّ أُتِيْتُ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مَمْلُوءَةٍ إِمَانًا، فَعُغْسِلَ قَلْبِي، ثُمَّ حُشِيَ ثُمَّ أُعِيدَ، ثُمَّ أُتِيْتُ بِدَابَّةٍ

دُونَ الْبَغْلِ، وَفَوْقَ الْحِمَارِ أَبْيَضَ، -فَقَالَ لَهُ الْجَارُودُ: هُوَ الْبُرَاقُ يَا أَبَا حَمْرَةَ؟ قَالَ أَنَسٌ: نَعَمْ- يَضَعُ خَطْوُهُ عِنْدَ أَقْصَى طَرْفِهِ، فَحَمِلْتُ عَلَيْهِ، فَأَنْطَلَقَ بِي جِبْرِيلُ حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الدُّنْيَا فَاسْتَفْتَحَ، فَقِيلَ مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ فَنِعَمَ الْمَجِيءُ جَاءَ فَفَتَحَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا فِيهَا آدَمُ، فَقَالَ: هَذَا أَبُوكَ آدَمُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَردَّ السَّلَامَ، ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالْإِبْنِ الصَّالِحِ، وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ.

ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الثَّانِيَةَ، فَاسْتَفْتَحَ قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ فَنِعَمَ الْمَجِيءُ جَاءَ فَفَتَحَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ إِذَا يُحْيَى وَعِيسَى، وَهُمَا ابْنَا الْحَالَةِ، قَالَ: هَذَا يُحْيَى وَعِيسَى فَسَلِّمْ عَلَيْهِمَا، فَسَلَّمْتُ فَردَّا، ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ، وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ.

ثُمَّ صَعِدَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ، فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ فَنِعَمَ الْمَجِيءُ جَاءَ فَفَتَحَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ إِذَا يُوسُفُ، قَالَ: هَذَا يُوسُفُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَردَّ ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ.

ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الرَّابِعَةَ فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: أَوْقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ،

قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعَمَ الْمَجِيءُ جَاءَ فَفُتِحَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ إِذَا إِدْرِيسُ، قَالَ: هَذَا إِدْرِيسُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ.

ثُمَّ صَعِدَ بِي، حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الْخَامِسَةَ فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعَمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا هَارُونُ، قَالَ: هَذَا هَارُونُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ، وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ.

ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ السَّادِسَةَ فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: مَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعَمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا مُوسَى، قَالَ: هَذَا مُوسَى فَسَلِّمْ عَلَيْهِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ، وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، فَلَمَّا تَجَاوَزْتُ بَكَى، قِيلَ لَهُ: مَا يَبْكِيكَ؟ قَالَ: أَبْكِي لِأَنَّ عَلَامًا بُعِثَ بَعْدِي يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِهِ أَكْثَرُ مِمَّنْ يَدْخُلُهَا مِنْ أُمَّتِي.

ثُمَّ صَعِدَ بِي إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعَمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا إِبْرَاهِيمُ، قَالَ: هَذَا إِبْرَاهِيمُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، قَالَ: فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ السَّلَامَ، قَالَ: مَرْحَبًا بِالْإِبْنِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ.

ثُمَّ رَفَعَتْ إِلَيَّ سِدْرَةَ الْمُنْتَهَى، فَإِذَا تَبَقُّهَا مِثْلُ قِلَالٍ هَجَرَ، وَإِذَا وَرَقُهَا مِثْلُ آذَانِ الْفَيْلَةِ، قَالَ: هَذِهِ سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى، وَإِذَا أَرْبَعَةُ أَتْهَارٍ: نَهْرَانِ بَاطِنَانِ وَنَهْرَانِ ظَاهِرَانِ، فَقُلْتُ: مَا هَذَانِ يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: أَمَّا الْبَاطِنَانِ فَنَهْرَانِ فِي الْجَنَّةِ، وَأَمَّا الظَّاهِرَانِ فَالنَّيْلُ وَالْفُرَاتُ.

ثُمَّ رَفَعَ لِي الْبَيْتَ الْمَعْمُورَ، ثُمَّ أُتِيتُ بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ، وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ، وَإِنَاءٍ مِنْ عَسَلٍ، فَأَخَذْتُ اللَّبَنَ فَقَالَ: هِيَ الْفِطْرَةُ الَّتِي أَنْتَ عَلَيْهَا وَأُمُتُّكَ.

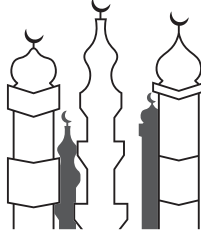
ثُمَّ فُرِضَتْ عَلَيَّ الصَّلَوَاتُ خَمْسِينَ صَلَاةً كُلَّ يَوْمٍ، فَرَجَعْتُ فَمَرَرْتُ عَلَى مُوسَى، فَقَالَ: بِمَا أُمِرْتُ؟ قَالَ: أُمِرْتُ بِخَمْسِينَ صَلَاةً كُلَّ يَوْمٍ، قَالَ: إِنَّ أُمُتُّكَ لَا تَسْتَطِيعُ خَمْسِينَ صَلَاةً كُلَّ يَوْمٍ، وَإِنِّي وَاللَّهِ قَدْ جَرَّبْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ، وَعَالَجْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ الْمُعَالَجَةِ، فَأَرْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ لِأُمُتِكَ، فَرَجَعْتُ فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ فَأُمِرْتُ بِعَشْرِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ، فَرَجَعْتُ فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ فَأُمِرْتُ بِخَمْسِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى، فَقَالَ: بِمِ أُمِرْتُ؟ قُلْتُ: أُمِرْتُ بِخَمْسِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ، قَالَ: إِنَّ أُمُتَكَ لَا تَسْتَطِيعُ خَمْسَ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ، وَإِنِّي قَدْ جَرَّبْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ وَعَالَجْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ الْمُعَالَجَةِ، فَأَرْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ لِأُمُتِكَ، قَالَ: سَأَلْتُ رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ،

وَلَكِنِّي أَرْضَى وَأُسَلِّمُ، قَالَ: فَلَمَّا جَاوَزْتُ نَادَى مُنَادٍ: أَمْضَيْتُ فَرِيضَتِي،
وَحَقَّقْتُ عَنْ عِبَادِي^(١).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، باب: (المعراج)، رقم (٣٨٨٧) ٥/٥٢.

حائط البراق: أخذ تسميته من ربط النبي ﷺ دابته ليلة الإسراء والمعراج به، وهو الجزء الجنوبي من السور الغربي للمسجد الأقصى ويسميه اليهود "حائط المبكى" لأن صلواتهم عنده تأخذ شكل البكاء والنواح.

نداء



الأذان عبارة عن كلمات ملهمة مؤثرة تختزل رسالة الإسلام الخالدة، وتعبر عن مبادئ الدين الإسلامي، عباراته صيغت صياغة سهلة يدركها الجميع، الصغير والكبير، المتعلم وغير المتعلم، المثقف وغير المثقف غالبًا، تنطلق بصوت جميل، يوقظ الشعور بالطمأنينة. وقد حرص رسول الله ﷺ على جمال أصوات المؤذنين، وكانت المعيار الذي يتم عليه اختيارهم، واستمر المسلمون على ذلك إلى وقتنا الحالي، وقد قال عمر بن عبدالعزيز لمؤذنه: (أذن وليكن آذانك سمحًا). أي سهلًا خاليًا من التكلف والطرب، آذان يعتمد على جمال الصوت الطبيعي والفصاحة والمدود الصحيحة.

وإذا تأملت الأذان تجده عبادة قولية؛ لتيسيرها في كل زمان ومكان، ويندب للسامع أن ينصت لسماع كلماته، وأن يردد تلك الكلمات وفي ذلك احترام لوقته.

وصعوبة الحياة بدون الأذان، يعرفها المسافر خارج نطاق العالم الإسلامي، صعوبة تجعلنا نتخيل مدى معاناة المسلمين بعد الهجرة؛ حيث كانت الصلاة لمدة أربع سنوات دون أذان؛ فالصلاة فرضت قبل الهجرة بثلاث سنوات، والأذان فرض في السنة الأولى من الهجرة.

والحقيقة أن موضوع الإعلام عن الصلاة، كان همّ شغلهم في يقظتهم وفي منامهم، وكان موضع نقاش بين رسول الله وأصحابه، وقد قدمت اقتراحات لذلك مثل نصب الراية، لكن رسول الله ﷺ كره هذا الاقتراح. واستبعد اقتراح الناقوس والبوق، واختار الأذان بصوت بشري يعبر عن حاجة البشر لإله واحد.

ذات يوم ذهب الصحابي المبدع عبد الله بن زيد رضي الله عنه إلى بيته، وهو منهمك في التفكير في هذا الموضوع، فأراه الله رؤيا الأذان، فأتى رسول الله فقال: يا رسول الله، إنه طاف بي هذه الليلة طائف، مر بي رجل عليه ثوبان أخضران، يحمل ناقوسا في يده، فقلت: يا عبد الله، أتبيع هذا الناقوس؟ فقال: وما تصنع به؟ قلت: ندعو به إلى الصلاة. قال: ألا أدلك على خير من ذلك؟ قلت: وما هو؟ قال: تقول: الله أكبر الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمدًا رسول الله، أشهد أن محمدًا رسول الله، حي على الصلاة، حي على الصلاة، حي على الفلاح، حي على الفلاح، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله. فلما أخبر بها رسول الله ﷺ، قال: (إنها

لرؤيا حق إن شاء الله، فقم مع بلال فألقها عليه فليؤذن بها؛ فإنه أندى صوتاً منك^(١).

كم يغمرنا الشعور بالدهشة عندما نسمع الأذان! وكأننا نسمعه لأول ونحن المسلمون الذين ألفنا هذا الصوت، واعتدنا على سماعه، فليس غريباً أن يعتنق الإسلام ٦٣٤ شخصاً في تركيا خلال عام واحد، بعد أن سمعوا صوت الأذان.

الله أكبر الله أكبر الله أكبر
أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن لا إله إلا الله
أشهد أن محمداً رسول الله أشهد أن محمداً رسول الله
حي على الصلاة حي على الصلاة
حي على الفلاح حي على الفلاح
الله أكبر الله أكبر
لا إله إلا الله

(١) أخرجه أبو داود في سننه، باب: (كيفية الأذان)، رقم (٤٩٩) ١/١٣٥.

المسافة بين الدعاء والأجابة هي ذاتها المسافة بين المفردتين في قوله تعالى: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠] والمسافة بين ذكرنا لله وذكره لنا هي ذاتها المسافة بين المفردتين ﴿فاذكروني أذكركم﴾ [البقرة: ١٥٢] لا مسافة ولا وسطاء هكذا ببساطة شديدة.

كتاب "لولا دعاؤكم"

نتحين النداء كل حين، في كل مكان، في المدن والصحاري، وفي قمم الجبال، وفي السهول والوديان. ننتظره حين يحل المساء، ونستيقظ على نداءه الندي، وهو يحيي الفجر بكلمات التوحيد التي يسمعها كل شيء، حتى الشجر والحجر، فيشهد يوم القيامة للحنجرة التي انطلق منها هذا النداء.

قال سعيد الخدري قال له رسول الله ﷺ : (إني أراك تحب الغنم و البادية؛ فإذا كنت في غنمك أو باديتك فأذنت بالصلاة فارفع صوتك بالنداء؛ فإنه لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا إنس ولا شيء إلا شهد له يوم القيامة)^(١).

فإذا انتهى النداء للصلاة تنطلق أرواحنا، ونمد أكفنا بالدعاء لنبي الأمة، ثم نبتهج فالفرصة مواتية، والدعاء مستجاب! فقط علينا بالدعاء. إن تخيل تلك الأعناق الطويلة يوم القيامة للمؤذن، أمر محفز للدخول في تلك التجربة الإيمانية الرائعة؛ فالصلاة أعطت الأذان قيمته وأهميته، وكذلك الضوء وكل ما يرتبط بها، وصارت رافداً للخير على المسلمين.

وصحابة رسول الله ﷺ كانوا يستهمون على الأذان، أي يكون فيهم بالقرعة من شدة إقبالهم عليه.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النِّدَاءِ وَالصَّفِّ الْأَوَّلِ ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلَّا أَنْ يَسْتَهِمُوا عَلَيْهِ لَأَسْتَهِمُوا عَلَيْهِ،

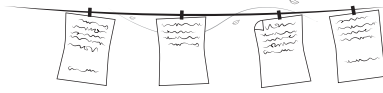
(١) أخرجه البخاري في صحيحه، باب: (رفع الصوت بالنداء)، رقم (٦٠٩) ١٢٥/١.

وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي التَّهْجِيرِ لَاسْتَبَقُوا إِلَيْهِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي الْعَتَمَةِ
وَالصُّبْحِ لَأَتَوْهَا وَلَوْ حَبَوًّا^(١).
وفعلًا استهم المسلمون على الأذان يوم القادسية.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، باب: (الاستهم في الأذان)، رقم (٦١٥) ١/١٢٦، ومسلم في صحيحه،
باب: (تسوية الصفوف وإقامتها)، رقم (١٢٩) ١/٣٢٥.

- هل تعلم أن عبدالله بن أم مكتوم ثاني من هاجر إلى المدينة بعد مصعب بن عمير.
- هل تعلم أن عبدالله بن أم مكتوم ابن خال خديجة بنت خويلد.
- هل تعلم أن سورة عبس نزلت في عبدالله بن أم مكتوم.

السعداء الأربعة



أربعة لا خامس لهم الذين كلفهم رسول الله ﷺ رسمياً بالأذان في أشرف المساجد وهم:

١ / بلال بن رباح رضي الله عنه :

بلال بن رباح المؤذن الأول، أول من أذن على الكرة الأرضية، وأول مؤذن لرسول الله في المسجد النبوي، وأول من أذن على الكعبة، فانطلق أذانه بعد أن حطم رسول الله ﷺ ثلاثمائة وستون صنماً فتلاشت همهمات الشرك، والإستغاثة بالأصنام والشياطين، ولا نعلم أحداً أذن على ظهر الكعبة غيره ﷺ.

كان بلال يُسحل على الأرض، ويلقى على ظهره فوق الرمال الحارة، وتوضع الصخرة على صدره، ليرتد عن دينه، وهو صامد يردد كلمة أحدٌ أحدٌ ... أحدٌ أحد.

فجوزي بولاية الأذان المشتملة على كلمة التوحيد في أشرف البقاع وأشرف الأيام، يوم الفتح. كان مؤذناً لرسول الله فحسب، فمع رسول الله انتهت حكاية العبد الأسمر الذليل وتنشق عبير الحرية، لقد كان فراق رسول الله ﷺ شديداً على الأمة، وعلى بلال أشد وأنكى، فالحياة في المدينة لا تطاق بدون رسول الله ﷺ، فوجد في الثغور ملاذاً وفي الجهاد سلوى.

وبناء على طلب من عمر رضي الله عنه أذن بلال أصعب أذان أذنه، وما أن سمع المسلمون صوته حتى خرجوا من بيوتهم، فقد هيج عليهم ذكرى رسول الله ﷺ، لكن الأذان لم يتم، فقد تقطع صوته بالعبرات عندما قال أشهد أن محمداً رسول الله. أستاذنا بلالاً خليفة المسلمين عمر رضي الله عنه، وعاد من حيث أتى، عاد إلى الثغور، لقد جاهد في سبيل الله، واستشهد بداريا في دمشق ودفن هناك.

٢ / عبد الله بن أم مكتوم رضي الله عنه:

عبد الله بن أم مكتوم، الشهيد الأعمى، ذو الترحية الخاصة عند رسول الله ﷺ: (مرحباً بمن عاتبني فيه ربي، ألك من حاجة؟) بعد أن نزلت آيات سورة "عبس"؛ انفعل قلب رسول الله ﷺ بذلك العتاب، فأصبحت حياته تعزيراً للقيمة التي عوتب من أجلها، وهي قيمة الكرامة للمؤمنين ﴿إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

ولابن أم مكتوم شأن خاص؛ فعلاقة رسول الله ﷺ به عليها مسحة

اعتذار دائم؛ فقد بلغ عدد المرات التي استخلفه فيها على المدينة ثلاث عشرة مرة تطبيقاً لخاطره، وأكرمه بالأذان مع بلال في المسجد النبوي، فكانا يتناوبان عليه.

كان كريماً عند الله ورسوله ﷺ. استشهد في معركة القادسية بعد أن أصر على حمل اللواء؛ فاستشهد ضريحاً حافظاً للقرآن.

٣ / سعد القرظ رضي الله عنه:

كان سعد من الموالى الذين أكرمهم الله بالإسلام، فكيف بمولى لصحابي جليل وهو عمار بن ياسر، الموعود بالجنة هو وأمه وأبيه، هذه هي المساواة الحقيقية، وهذا هو العدل، الموالى يتصدرون قائمة المناصب العليا، والتشرف بالقرب من رسول الله ﷺ، والأذان في مسجده في عاصمة الخلافة الإسلامية.

كان مجرد مولى، يبيع ويشترى في نبات يستخدم في دباغة الجلود، فبارك الله له في مشروعه الصغير فربح. وكان رسول الله ﷺ يتابع عن كثب أمره وأمور باقي صحابته، ويسعى لتحسين أوضاعهم الاقتصادية، فأمره أن يلزم هذه التجارة ولا يتركها فسمي بها.

كان ضمن القائمة المباركة التي مسح رسول الله ﷺ على رأس كل فرد فيها. فقد مسح رسول الله ﷺ على رأسه كما مسح على رأس عُمير بن سعد، فمات وهو ابن ثمانين، فما شاب! ومسح على رأس قيس بن زيد الجذامي فمات وهو ابن مائة سنة، ورأسه أبيض

وموضع كف النبي ﷺ وما مرّت يده عليه من شعره بقى أسود اللون، فكان يُدعى الأغر.

أذن سعد في مسجد قباء طيلة حياة رسول الله ﷺ، ثم انتقل للأذان في المسجد النبوي، بعد وفاة الرسول وامتناع بلائاً عن الأذان فيه. وببركة دعاء النبي ورث أبناؤه الأذان في المسجد النبوي إلى عهد مالك - رحمه الله - وقيل إلى زمننا هذا.

لم يكن مؤذنًا فحسب بل كان أحد رواة الحديث، وروى عنه أبناؤه. فإذا صلينا في مسجد قباء فللنتذكر سعد مؤذنه الأول، وإذا صلينا في المسجد النبوي، فلنتذكر مؤذنه الثالث سعد أيضا.

٤ / أبو محذورة الجمحي رضي الله عنه:

لم يعلم ذلك الفتى الذي تبع رسول الله ﷺ، أنه سيقع عليه الاختيار ليكون أول مؤذن في المسجد الحرام، وأن الأذان سيبقى في عقبه... كان الفتى يقلد الأذان مع أقرانه، في حركة تعبر عن شقاوة مراهقين فحسب. لكن صوته الندي وصل إلى سمع رسول الله ﷺ الذي ما كان ليفوت فرصة على هذه الموهبة الصوتية لفتى عمره سبعة عشر عاماً. فصار مؤذن رسول الله ﷺ وصاحبه، نعم صاحبه على الرغم من الفرق في العمر بينهما.

اسمه: أوس بن معير، كان من أندى الناس صوتاً، كانت أسرته تدين لصوته الجميل الذي عبر به جسر الشرف، فتشرف بالآذان

في المسجد الحرام في أظهر البقاع.

وبحكم حساسية منصبه فقد كان جديرًا أن يروي الأحاديث المتعلقة بهذه الشعيرة، فروى عنه ابنه عبد الملك، وزوجته أم عبد الملك التي روت الحديث الشهير عن زوجها أبي محذورة، قال: (لما رجع النبي من حنين خرجت عاشر عشرة من مكة نطلبهم فسمعتهم يؤذنون للصلاة فقمنا نؤذن نستهزئ، فقال النبي لقد سمعت في هؤلاء تأذين إنسان حسن الصوت؛ فأرسل إلينا فأذنا رجلاً رجلاً فكنت آخرهم، فقال حين أذنت: تعال، فأجلسني بين يديه فخلع عمامتي ومسح على ناصيتي وبارك علي ثلاث مرات، ثم قال: اذهب فأذن عند بيت الله الحرام. قلت: كيف يا رسول الله؟ فعلمني الأولى كما يؤذنون بها، وفي الصبح الصلاة خير من النوم، وعلمني الإقامة مرتين مرتين)^(١).

حرص أبو محذورة على كل شيء يربطه برسول الله، فلم يقص شعره الذي مسح عليه الرسول ولم يفرقه؛ إيماناً منه بقيمة تلك المسحة وعظم أثرها على نفسه. وبقي الأذان في نسله إلى عهد هارون الرشيد.

(١) أخرجه أبو داود في سننه، باب: (كيفية الأذان)، رقم (٥٠١) ١٣٦/١.

ما أحد من المؤمنين إلى يوم القيامة إلا وللصحابه في عنقه منن لا تحصى، وأياد لا تنسى. فهم حملوا إلينا عن رسول الله ﷺ الحكمة والأحكام، و بينوا الحلال والحرام. فليعرف فضلهم وليحفظ حقهم.

أحمد بن عطاء السكندري

قطرة ماء



الوضوء من الوضوء، وهي الإشراقة والبريق، والوضوء فرض لا يملك المتوضىء إلا أن يقع في أسر روعته. فقطرات الماء التي تنحدر من الوجه والعينين، تعيد الصفاء؛ فكم من ذرات الغبار التي تخلص منها حامله معها أذى محتمل، كما أن غسل الأطراف وتدليكها يحرك الدورة الدموية في المناطق البعيدة عن القلب. فتتوازن درجة حرارة الجسم، فيهدأ ويسكن ويكون في حالة مثالية للوقوف بين يدي ربه .

تأمل معي هذا الهدى النبوي الكريم من خلال قوله ﷺ: (إن أمتي يدعون يوم القيامة غراً محجلين من آثار الوضوء)^(١).

في الحديث بشارة للمتوضئين بأن الله يخصصهم بعلامة فضل وشرف يوم القيامة من بين الأمم؛ حيث ينادون فيأتون على رؤوس الخلائق تتلأأ وجوههم وأيديهم وأرجلهم بالنور، وذلك أثر من آثار هذه العبادة

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، باب: (فضل الوضوء)، رقم (١٣٦) ٣٩/١.

العظيمة التي فعلوها ابتغاء مرضاة الله، وطلباً لثوابه، فكان جزاؤهم هذه الحمدة العظيمة الخاصة.

فالوضوء يتحول إلى ضوء في أجواء الظلام يوم القيامة، بل يتحول هذا السلوك الجميل إلى قيمة جمالية. فأصل الغرة لمعة بيضاء تكون في جبهة الفرس، والتحجيل بياض في ثلاث من قوائم الفرس. هذا البروز الأخاذ للمتوضئين يكون على رؤوس الأشهاد، وهو شارة وعلامة تساعد الرسول ﷺ على التعرف على أمته. وهو واقف على حوضه في أرض المحشر، وهو حوض عظيم يصب فيه ماء من الجنة من نهر الكوثر، عبر ميزابان والماء يتدفق بين يدي رسول الله يسقي به عطشى أمته الذين دأبوا على الوضوء عن أبي هريرة رضي الله عنه: (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَتَى الْمَقْبَرَةَ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَا حِقُونَ، وَدِدْتُ أَنَّا قَدْ رَأَيْنَا إِخْوَانَنَا. قَالُوا: أَوْلَسْنَا إِخْوَانَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: أَنْتُمْ أَصْحَابِي، وَإِخْوَانُنَا الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا بَعْدُ. فَقَالُوا: كَيْفَ تَعْرِفُ مَنْ لَمْ يَأْتِ بَعْدُ مِنْ أُمَّتِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ رَجُلًا لَهُ خَيْلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ بَيْنَ ظَهْرَيْنِ خَيْلٍ ذُهُمٍ بُوْهُمْ أَلَا يَعْرِفُ خَيْلَهُ؟ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنَ الْوُضُوءِ، وَأَنَا فَرَطُهُمْ عَلَى الْحَوْضِ، أَلَا لِيَذَادَنَّ رِجَالٌ عَنْ حَوْضِي كَمَا يُذَادُ الْبَعِيرُ الضَّالُّ أَنَادِيهِمْ أَلَا هَلُمَّ. فَيَقَالُ: إِنَّهُمْ قَدْ بَدَّلُوا بَعْدَكَ، فَأَقُولُ: سَحَقًا، سَحَقًا) ^(١).

مهما واجهتنا الصعاب فقد تكون دورات المياه غير مهيأة، أو أن ملابسنا غير مناسبة لضيق الأكمام أو ما شابه ذلك، أو أن الأحذية غير ملائمة للبلل، أو أن الماء بارد جداً، أو لغير ذلك من الاعتبارات؛ لتتذكر أن تلك الصعاب ستكون سبباً في مغفرة الخطايا.

قال رسول الله ﷺ: (ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة؛ فذلكم الرباط) (١).

لم تنته رحلة المؤمن مع الوضوء، فهو رفيقه في الشدة والرخاء، وأعني بالرخاء: نعيم الجنة. فما يستمتع به من الحلي والمجوهرات مقروناً بالأجزاء التي كان يصلها وضوءه.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله يقول: (تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء) (٢).

والحلية هي الحلي والمجوهرات التي يلبسها أهل الجنة. وكما تعلم أيها القارئ الكريم، أن المؤمن في الجنة يلبس أساور ذهبية وفضية ولؤلؤية. قال الله تعالى: ﴿يُحَلَّلُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلَوْلُؤَا﴾ [الحج: ٢٣]، ﴿وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ﴾ [الإنسان: ٢١].

فالمؤمن يُحلى في الجنة -رجالاً كان أو امرأة- بهذه الحلية، وتكون

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، باب: (إسباغ الوضوء على المكاره)، رقم (٢٥١) ٢١٩/١.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، باب: (تبلغ الحلية حيث يبلغ الوضوء)، رقم (٢٥٠) ٢١٩/١.

إلى حيث يبلغ الوضوء. فعلى هذا تبلغ الحلية في اليدين إلى المرفقين؛ لأن الوضوء يبلغ إلى المرفقين^(١). وبما أن الحديث عن الجنة نترككم في أجوائها قليلا.

(١) شرح الشيخ ابن عثيمين رحمه الله.

أجواء الجنة



للجنة أجواء خاصة صافية وهادئة، الإضاءة ساحرة أقرب ما تكون إلى الفجر أو الغروب، هواء عليل، وعبقٌّ لا يوصف، الروائح العطرية تفوح من الزهور والثمار، والمسك يبلل الأجساد، و الزعفران يعبق من التراب، والكافور يعطر الماء. فما للنفس إلا أن ترتاح، ولا للخاطر إلا أن يطيب.

في هذه الأجواء لن ينسى المؤمن صلاته التي كان يصلّيها في الدنيا، تذكره بها تحية من الملائكة، ومفاجآت الهدايا المتجددة التي تصلهم في مواعيد الصلاة.

يا لها من ذكرى طيبة!

وورد في الأثر أن أهل الجنة تأتيهم أرزاقهم وهداياهم لأوقات الصلوات التي كانوا يصلونها في الدنيا وتسلم عليهم الملائكة...
الله أكبر يا له من ارتباط وجداني عجيب يزداد به المؤمن حباً

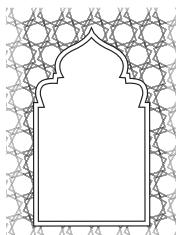
للصلاة وشوقاً إليها كلما دخل وقتها تذكر الجنة التي يطلبها و تعلق قلبه بها وهو يسمع منادي الله يناديه إليها لقد فقه الصحابة الأبرار هذا المعنى فاشتاقوا للصلاة فهذا عدي بن حاتم رضي الله عنه يقول: (والله ما جاء وقت صلاة إلا وأنا لها بالأشواق).

وأشوقاه إلى الجنة وأرزاقها، وأشوقاه إلى الجنة وثمراتها وأشوقاه إلى الصلاة الخاشعة المطمئنة.

كنا نحلم بفتيات الجنة .. كان حلماً يدفعنا التمسك به نحو المزيد والمزيد .. كان يأخذنا بعيداً عن عفن الرذيلة وأرصفتة الإحباط ومفاوز اليأس .. نحو الله .. نحو أبوابه وعطاياه .. ترى كيف هي فتاتي وكيف قصرها؟ لطالما بنيت لها بالدعاء القصور .. لطالما شققت لها الأنهار في مخيلتي .. لطالما سقيت ربوعها بالأمطار والأشعار، ولطالما طاف شعري حول خيامها و أغنامها وحماها.

كتاب " الجنة حين أتمنى "

أقم الصلاة



أما وقد وصلنا إلى بيت القصيد فلا أبلغ ولا أكمل من لفظ الإقامة للصلاة. الصلاة التي يعظم فيها الرب جل وعلا، وتشعل في صاحبها جذوة التغيير ويظهر الحق على محياه.

عندما نقف قليلا عند معنى الإقامة "نرى أنها مشتقة من الفعل قام، وهو من القيام والنهوض، وتأتي بمعنى الإصلاح والتشديد، كما في قوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ﴾ [الكهف: ٧٧] وتأتي بمعنى تحقيق العدل وإقامته، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ [الرحمن: ٩] والوزن بالقسط لا يقتصر على الموازين في الآلات، بل في تقييم الأمور ووضعها في نصابها .

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٦٦] والمقصود بالإقامة في الآية

الكرامة: هي تطبيق تعليمات التوراة والإنجيل في حياتهم. إن إقامة الصلاة ولفظ القيام مع القدرة، يوحي بأن الأمر لا يقتصر على الوقوف. وإنما هي حالة من القيام، كإقامة العدل تعني تحقيق العدل في أرض الواقع، وإقامة الصلاة نهوض لتحقيق مآرب الصلاة في الحياة والذي يتناسب معه وضع الوقوف لا القعود^(١).

ها أنت قائم للصلاة كما أمرك الله، ووجهك يضيء من أثر الضوء، وروحك ترفرف من أثر الدعاء في موقف مهيب. تبدأ بقول: الله أكبر، أتدري لماذا بدأت بها؟ ليتلاشى أمام عينيك كل كبير مهما علا شأنه، أو أهمك أمره، رافعا يديك بالتكبير معلناً أن الاستسلام لله جل وعلا.

تبدأ الصلاة بمقدمة جميلة تسبيح وحمد بقول: (سبحانك اللهم وبحمدك، وتبارك اسمك، وتعالى جدك، ولا إله غيرك). وهو سنة من سنن الصلاة. وعقب البدء باسم الله الرحمن الرحيم، يجيء التوجه إلى الله بالحمد ووصفه بالربوبية المطلقة للعالمين ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢] نحمده على ماذا؟ الحمد لله لكمال صفاته؛ فهو لم يتخذ ولدا، ولكامل ملكه، ولعدم وجود أولياء يعينونه سبحانه، ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وِليٌّ مِنَ الذَّلِيلِ وَكَبْرُهُ تَكْبِيرًا﴾ [الإسراء: ١١١].

(١) كتاب كيمياء الصلاة د. أحمد خيرى العمري.

ومع هذا يبلغ من فضل الله وفيضه على عبده المؤمن، أنه إذا قال:
الحمد، كتبها له حسنة ترجح كل الموازين...

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ حدثهم أن عبدا من عباد الله
قال: (يا رب لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك)،
فعضلت الملكين فلم يدريا كيف يكتبانه؟ فصعدا إلى الله فقالا: يا ربنا
إن عبدا قد قال مقالة لا ندري كيف نكتبها؟ قال الله -وهو أعلم بما
قال عبده-: وما الذي قال عبدي؟ قالوا: يا رب، إنه قال: لك الحمد
يا رب كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك. فقال الله لهما:
اكتبها كما قال عبدي حتى يلقاني فأجزيه بها^(١).

وقوله تعالى: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^[الفاتحة: ٢]: رب جميع العوالم
والمخلوقات. والله سبحانه لم يخلق الكون ثم يتركه هملًا؛ إنما هو يتصرف
فيه بالإصلاح ويرعاه ويربيه، وكل العوالم والخلائق تحفظ وتعهده برعاية
الله رب العالمين...^(٢)

فإذا قال: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾^[الفاتحة: ٣]، قال تعالى: أثني علي
عبدي. وإذا تأملنا اسم (الرحمن) نجد الاسم الوحيد الذي يذكر منفردا
دون أن يتبع باسم آخر من أسماء الله الحسنى، فيما عدا لفظ الجلالة
ذاته.

في سورة الرحمن لم يرد اسم الرحمن إلا مرة واحدة؛ لكن الاسم

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه، باب: (فضل الحامدين)، رقم (٣٨٠١) ١٢٤٩/٢.

(٢) تفسير في ظلال القرآن.

مهمنا على نص السورة كلها، حيث تقدم لنا هذه السورة صورة من عالم متوازن جداً، تحكمه القوانين والسنن، ويتحرك بحسابات دقيقة جداً، كل شيء فيه موزون ومتوازن، ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٣٦﴾ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ [الرحمن: ٥٠، ٦٠]؛ فالتوازن من معاني الرحمة توازن عميق يلغي أسباب الخطأ ويفقده مبرراته بمعنى: ألا ينبغي شيء على شيء... (١)

ويؤيد هذا المعنى قوله تعالى: ﴿مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾ [الملك: ٣].

وإذا قال: ﴿مَالِكِ يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤]، قال تعالى: مجدني عبدي، أي أجزل الثناء والتعظيم. وتخصيص الملك بيوم الدين؛ لأنه لا يدعي أحد هنالك شيئاً، ولا يتكلم أحد إلا بإذنه كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ [النبا: ٣٨].

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]: فلا عبادة إلا لله، ولا استعانة إلا بالله.

﴿هَدَيْنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦]: هذا الإصرار والإلحاح على الهداية على الصراط المستقيم، هو دليل على مدى حاجتنا الماسة إلى الهداية والتوفيق من الله في توجهاتنا وقراراتنا وتصرفاتنا لتكون وجهتنا إلى

(١) كتاب كيمياء الصلاة د. أحمد خيرى العمري.

صراط الله.

ونتساءل ما هو الداعي لتوضيح الصراط المستقيم بقوله تعالى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٧] ومعنى هذا أن الصراط المستقيم يبقى نظرياً، ولا يعرف إلا من خلال الذين يسلكونه ويسيرون عليه، ولذلك جاء توضيح وتبيين هذا الصراط بالبدل: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٧] الصراط المستقيم لا يتضح ولا يعرف إلا بالسالكين السائرين عليه، من الذين أنعم الله عليهم. وفي هذا دلالة على أهمية التركيز على البعد العملي وتنفيذ الأحكام، وتحويل الأفكار والآراء العظيمة إلى نماذج بشرية واقعية؛ فالإسلام العظيم صراط مستقيم، لكنه لا يعرف إلا من خلال المسلمين الملتزمين له، المنفذين لأحكامه... (١)

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: قال الله تعالى: (قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، ولعبدني ما سأل؛ فإذا قال العبد: الحمد لله رب العالمين، قال الله تعالى: حمدي عبدي، وإذا قال: الرحمن الرحيم، قال الله تعالى: أثنى علي عبدي، وإذا قال: مالك يوم الدين، قال: مجدي عبدي، وقال مرة: فوض إلي عبدي، فإذا قال: إياك نعبد وإياك نستعين، قال: هذا بيني وبين عبدي، ولعبدني ما سأل، فإذا قال: اهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين، قال: هذا لعبدي ولعبدني ما سأل)، وفي

(١) من صفحة الشيخ: صلاح عبد الفتاح على الفيسبوك.

رواية: (قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، فنصفها لي ونصفها لعبدي)^(١).

بعد أن تنتهي من فاتحة الكتاب وتلاوة ما تيسر من الذكر الحكيم، تقضي وقتك في الصلاة بين ركوع وسجود؛ فالركوع انحاء بسيط تسبح بحمد ربك العظيم؛ فيطوف في ذهنك طرفا من مظاهر العظمة التي لا تبلغ جزءا من مداها.

ثم تسجد فتكون في أبلغ صورة من صور التذلل والعبودية وتلتحق بعالم الساجدين الشمس، والقمر، والنجوم، والشجر والجبال، والسموات السبع والأرض، ومن في السموات والأرض، ﴿تَسْبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ۚ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ خَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٤]

نسجد لله ٣٤ مرة في اليوم والليلة، نسبح بإسم الله الأعلى، فيطوف في الذهن عبر تصور تخيلي للكون يرصد الأرض التي نعيش عليها، كيف يصغر حجمها فتكون هباءة ثم جلوس بين السجدين لطلب المغفرة هذه الركعة هي وحدة في الصلاة، تكرر مثنى كما في صلاة الفجر، وثلاث كما في صلاة المغرب، ورباع كما في الظهر والعصر والعشاء. يتخللها جلوس التشهد نشهد فيه بكلمة التوحيد ونسلم على رسول الله وعلى عباده الصالحين ثم تنتهي الصلاة بالتسليم يمينا وشمالا، يسلم

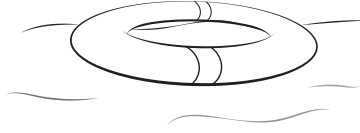
(١) أخرجه مسلم في صحيحه، باب: (وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة)، رقم (٣٨) ٢٩٦/١.

المصلي على من؟ يسلم على الجماعة الذين يصلون معه وإذا كان منفردًا يسلم على الملائكة الحفظة عن يمينه وعن شماله، فيتذكر أن هناك من يحصي حركاته وأقواله وأفعاله، فعن يمينه ملك يكتب الحسنات، وعن شماله ملك يكتب السيئات فيقوم من صلاته وقد جدد العهد، زيادة في الحسنات وتوبة من السيئات.

تَحَيَّلْ فقط! من بين مليارات البشر هناك فئة مُعينة يحب الله إيقاظها
 فجر كل يوم لتذهب إليه وتصلي له. يمشون بهدوء من بين الملايين
 من الذين قد يكونون في تلك اللحظة ثملين مخمورين. أو غارقين في
 شهوة ما أو قد يكونون غاطّين في سبات عميق! وفي ذلك اليوم الرهيب
 سيتلقّى أولئك الذين مشوا إليه في الظلمات ما وعدوا به. النور التام يوم
 القيامة. إنهم تلك النخبة سعيدة الحظ أولئك الذين يحبّ الله سبحانه
 وتعالى إيقاظهم.

أحمد خيرى العمري

طوق النجاة



عندما تمضي الحياة قدماً في طريق ثابت ومصير معلوم، يكون الموت أول منعطفاتها الصعبة، وتبدأ المعاناة الكبيرة بالنفخ في الصور، عندما نهض من قبورنا، نمسح التراب عن رؤوسنا ووجوهنا ونجري مذعورين مما حدث.

فأصوات الانفجارات العظيمة تملأ الكون وقد أحالت السلاسل الجبلية الشاهقة إلى تراب، وغبارها يلف الأرض. انتظار وترقب، فزع وضياح! نجري ونهرول مذعورين، نفر من آبائنا، وأمهاتنا، وأزواجنا، وإخوتنا، لكنهم مثلنا حيارى يبحثون عن الأمان.

ستتجه إلى الأنبياء، من نبي إلى نبي نريد المساعدة؛ فهم أسياد الموقف، لكنهم يعتذرون برفق. حينئذ سنتذكر شفاعة رسول الله ﷺ لنا، فلطالما كنا نردد بعد الأذان مباشرة: اللهم رب هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة، آت محمد الوسيلة والفضيلة، وابعثه المقام المحمود الذي

وعدته.

إذن هذا هو الوقت المناسب لطلب الشفاعة؛ فنتجه إلى المصطفى، ففي حديث الشفاعة الطويل الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (... فيأتوني فيقولون: يا مُحَمَّد، أنت رسول الله وخاتم الأنبياء، وغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى إلى ما قد بلغنا؟ فأنطلق فآتي تحت العرش فأقع ساجداً لربي، ثم يفتح الله علي، ويلهمني من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه لأحد قبلي. ثم قال: يا مُحَمَّد، ارفع رأسك، سل تعطه، اشفع تشفع، فأرفع رأسي فأقول: يا رب، أمتي أمتي، فيقال: يا مُحَمَّد أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب، والذي نفس مُحَمَّد بيده، إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجر، أو كما بين مكة وبصري^(١).

القضية لم تنته بعد، سنحتاج إلى شفاعات أخرى؛ فالمواقف تزداد صعوبة، لاسيما إذا اصطفت الصفوف البشرية في صفوف عظيمة، تنتظر المحاسبة والتدقيق على كل ما فعلوه.

لنا أن نتخيل المليارات من الناس في مكان واحد، يعيشون موقفاً واحداً، يعانون معاناة الخائف المضطر. فكيف إذا أقيمت محكمة العدل

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، باب: (كلام الرب عز وجل يوم القيامة)، رقم (٧٥١٠) ١٤٦/٩، و
أرجه مسلم في صحيحه، باب: (أذن أهل الجنة منزلة فيها)، رقم (٣٢٢) ١٨٠/١.

الإلهية، سيرى الناس الحقيقة واضحة لا لبس فيها ولا غموض. ولهم أن يتخيلوا تلك الصفوف الطويلة، ينادى فيها على كل واحد باسمه، يتردد كل اسم في ساحة المحكمة يسمعه الجميع؛ فمن ينادى عليه. يمتنع لونه، ويخرج ماشياً بين الصفوف، يصطحبه سائق وشهيد، والناس ينظرون إليه من طرف خفي، لا مجال للتراجع، ولا للنوح ولا البكاء.

كم هو مروع منظر ذلك الفتى الذي شعر بالخذلان من أعضائه، فجعل يعاتبها! وخيبة الأمل تقطع نبرة صوته عندما يقول: عنكن كنت أجادل!

كيف يتخلى الجسد عن صاحبه! كيف يشهد المرء على نفسه! وكيف تشهد عليه أعضاؤه، وحواسه وسمعه وبصره، وجلده!

إنه لأمر مذهل أن تتحدث جلود البشر وتدلي بشهادتها، يظهر أن صوت الجلد ونطقه، أذهل القوم أكثر من شهادة السمع والبصر ﴿وَقَالُوا جُلُودُهُمْ لَمْ يَشْهَدْ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٢٠) وَقَالُوا جُلُودُهُمْ لَمْ يَشْهَدْ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَأَنْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [أفصلت: ٢٠، ٢١].

وفي الحديث الذي رواه أنس بن مالك رضي الله عنه (عجبت من مجادلة العبد ربه يوم القيامة، يقول: أي ربي، أليس وعدتني ألا تظلمني؟ قال: بلى فيقول: فإني لا أقبل علي شاهدًا إلا من نفسي. فيقول الله تبارك

وتعالى: أو ليس كفى بي شهيداً، وبالملائكة الكرام الكاتبين؟! قال: فيردد هذا الكلام مراراً. قال: (فيختم على فيه، وتتكلم أركانه بما كان يعمل، فيقول: بعدا لكنّ وسحقاً، عنكن كنت أجادل)^(١).

والصعوبة الكبرى عندما يبدأ الحساب الدقيق على كل شيء فتبتدئ المحاسبة بالسؤال الأول والذي سيكون عن الصلاة! ربما في البداية سيشعر المصلي بالراحة؛ لأنه كان يصلي جميع الفروض، لكنه سرعان ما يضطرب عندما يكتشف أن الصلوات سيتم فحصها؛ فقد يبلغ عدد الصلوات المفروضة والتي ستناقش ٩٠٠٠٠ صلاة تقريباً هذا معدل لمن يموت وعمره ٧٠ سنة، وبلوغه كان في الخامسة عشر من عمره بحساب السنة القمرية: ٣٥٤ يوماً.

تدقيق أكثر من ٩٠٠٠٠ صلاة تقريباً، وفحص لكل أركانها وواجباتها وسننها، من ركوع وسجود ووقوف وجلوس. كل حركاتها وسكناتها، كل شيء محفوظ صورة وصوتاً بحفظ عال الدقة.

قالها الشيخ محمد الغزالي في تعليقه على آية ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: ١٢]. حينئذ ستنشط الذاكرة وتتجلى الصورة، فيتذكر كل عمل ومدى تأثيره في دائرة الأصحاب والأسرة والمجتمع (وآثارهم).

والصدمة عندما يتضح أن صحيفة الصلاة لم يثبت فيها إلا القليل،

(١) أخرجه البخاري في صحيحه.

فهناك إشارة إلى فعل الصلاة، لكن لا توجد إشارة إلى إقامتها! وأسفاه فلا عودة إلى الورا! فتكون الأمنية هي العودة للحياة الدنيا والصلاة بخشوع وخضوع بلا شرود وضياح.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (إن أول ما يحاسب الناس به يوم القيامة من أعمالهم: الصلاة، قال: يقول ربنا جل وعلا لملائكته: انظروا في صلاة عبدي، أتمها أم نقصها؟ فإن كانت تامة كتبت له تامة، وإن كان انتقص منها شيئاً، قال: انظروا، هل لعبدي من تطوع؟ فإن كان له تطوع، قال: أتموا لعبدي فريضته من تطوعه، ثم تؤخذ الأعمال بعد ذلك)^(١).

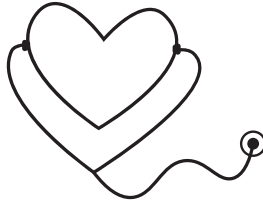
لن يتوقف الأمر على أحد، فالحساب للجميع والمشاهد تترى، هناك من يصرخ بعد انتهاء المحاكمة؛ ويستلم الحكم النهائي فيأخذ كتابه بشماله من وراء ظهره، كما كان يجعل كتاب الله وراء ظهره في الحياة الدنيا.

لكن ثمة فرحة وسط الأحزان، فترتفع أصوات بالبشرى، وينتعش الأمل من جديد. إنها أصوات الذين يتسلمون شهاداتهم بيمينهم، يعرضونها على الملاء، ويبحثون عن من يشاطرهم الفرح وبيارك لهم الفوز، إنهم المتقون، إنهم المفلحون، الذين هم في صلاتهم خاشعون.

(١) أخرجه أبو داود في سننه، باب: (تَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ): (كُلُّ صَلَاةٍ لَا يُتِمُّهَا صَاحِبُهَا ثُمَّ مِنْ تَطَوُّعِهِ))، رقم (٨٦٤) ٢٢٩/١.

يقول (كلارك أوتلي) وهو الذي أشرف على مئات العمليات الخاصة
 بزرع الجلد ونقله من أشخاص لآخرين: إن الجلد يملك ذاكرة طويلة
 جداً، فهو لا ينسى!!

إصغاء قلب



لا تختلف على أن الحديث من القلب يصل إلى القلب مباشرة، ومادام القلب يحسن الحديث فهو يحسن الإصغاء أيضا ﴿وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلَيَرِضُوهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُّقْتَرِفُونَ﴾ [الأنعام: ١١٣] فالإصغاء حالة من الاستماع العميق، يتطلب إدراك، وشعور ينشأ عنهما سلوك واع.

وللشيخ الشعراوي رحمه الله وقفة جميلة مع هذه الآية، حيث أشار إلى ثلاث عمليات متتالية وهي: الإدراك، والوجدان، والسلوك. ففي كلمة (ولتصغى) أشار إلى الإدراك، وفي كلمة (وليرضوه) أشار إلى الوجدان، وفي كلمة (وليقترفوا) أشار إلى السلوك. معنى ذلك أن الإصغاء: إدراك يؤثر لا محالة في الشعور الذي يدفع الشخص إلى العمل.

والإصغاء لما يرد إلى الأذن، يشبه البصيرة لما يرد إلى العين، فهي مراحل متقدمة للاستجابات الفطرية الأولية من الأذن والعين، و الإصغاء

عملية قلبية يقوم بها عقل القلب الذي يعرف بإسم الفؤاد ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [المؤمنون: ٧٨].

فإصغاء القلب يؤدي إلى خضوعه، فينشأ الخشوع الذي نسمع عنه ولا نعرف حقيقته وكنهه، نظنه البكاء! والحقيقة أن البكاء أحد مظاهره؛ فالخشوع حالة رائعة غريبة، ربما تجلي لعظمة الخالق، وتهيؤ لإدراك مدى الذل أمام تلك العظمة الرهيبة، فالعلاقة طردية بين الشعورين، كلما زاد الشعور بعظمة الله زاد الشعور بالذل له والانكسار بين يديه، ويتسلل بينهما شعور بالاعتزاز والقيمة الذاتية من خلال عبوديته لله.

في لحظات الخشوع يشعر المؤمن بأن الكون يسكن بداخله، في الوقت الذي يحلق في آفاق ذلك الكون، فالخشوع حالة من الخضوع المتأهب للتغيير واتخاذ القرار.

إذن هو حالة ذلة وانكسار للخالق، تمنح المخلوق قوة وإرادة. وما يحدث للقلب يحدث للأرض الخاشعة ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّهُ تَرَىٰ الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۚ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فصلت: ٣٩] إذا ربطت بين نزول الماء على الأرض الخاشعة، وبين استعداد القلب وإصغائه لتلقي الآيات والذكر الحكيم، أدركت أن الخشوع تصحبه انتفاضة على مستوى الروح، على غرار هزة الأرض بعد نزول المطر، انتفاضة تخرج أفضل ما في النفس من قرارات وصفات، يجد الخاشعُ ثمرتها بإذن الله.

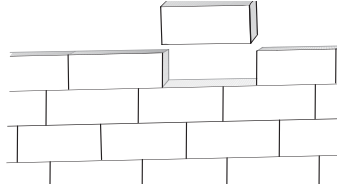
فالحشوع انفعال وجداني تستجيب له الروح، ويعبر عنه الجسد في أروع تعبير عندما تنهمر من العين دمعة في لحظة السجود ﴿إِذَا تُنَالَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [الرعد: ٥٨].

وهناك انعكاس لهذا الانفعال على البشرة، لاستجابة الجلد لهذه العاطفة النبيلة، فيقشعر، والقشعريرة من تأثير الجهاز العصبي، وهي تغير عابر لا إرادي يطرأ على الجلد، فيصبح خشن الملمس نتيجة لانقباض العضلات الصغيرة، وأثناء هذه الحالة الشعورية يحدث ضخ لكميات من الدم في الجسم، فتحدث هزة تشبه الصعق الكهربائي بقوة ستين فولت، وهي تكون نتيجة مؤثر داخلي له علاقة بالمشاعر القوية كالخوف والاشمئزاز، أو مؤثر خارجي كالبرد وهذا النوع من جنس الدفاعات النفسية وتكيف الجسم وهو معروف لدى الجميع. والقشعريرة التي أشار إليها القرآن الكريم تحدث في لحظة يقظة للروح، نتيجة التأثر بالمشاعر السامية، كالوجل والرغبة والخشية من الله جلّ وعلا، لحظة قليلها كثير، ومضة من ضياء يستدل بها في المسير، سرعان ماتنتهي وتهدأ المشاعر وتعود للجلد نعومته وليونته، فيرق القلب ويطمئن قال تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ﴾ [الزمر: ٢٣].

وحرى بالقارئ الكريم أن يتذكر المرة التي أحس فيها بالقشعريرة
أثناء الصلاة، أو عند تلاوة القرآن الكريم، أو عند ذكر الله .

قال جيفري لاينغ عندما صلى أول صلاة له بعد اعتناقه الإسلام:
 (سرت في جسدي موجة من البرد أخذت تشع في مكان ما من
 صدري، وانتابتني قشعريرة، شعرت وكأن الرحمة قد حلت بي لتغمري
 حالة من الروحانية والسكينة. انهمرت الدموع فوق وجنتي ووجدت
 نفسي أبكي بلا توقف، وطالما ازداد بكائي شعرت بقوة هائلة من الرقة
 والعطف تعانقني، كأن سداً كبيراً قد انهار ليفيض منه مخزون هائل من
 الخوف والغضب، إن رحمة الله تتجاوز مسألة غفران الذنوب لتشمل
 على تطهير النفس وغرس السكينة فيها. وعندما توقفت عن البكاء
 أخيراً كنت مرهقاً تماماً، وأدركت أنني كنت بحاجة ماسة إلى الله وإلى
 الصلوات).

السنة الأخيرة



إن العلاقة بين المسلم والسواك علاقة حميمة، ففي السواك رمز لزمان النبوة، فإذا رأينا جمهرة الناس حول باعة السواك أدركنا مدى تعلق المسلمين به. إن الحث على استخدام السواك مع كل وضوء، زاد من حميمية العلاقة، فقد كان السنة الأخيرة التي عملها رسول الله ﷺ قبل موته بلحظات.

فالنظرة الأخيرة من الرسول ﷺ كانت لسواك في يد عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه، الذي جاء زائراً ومودعاً للنبي الكريم، ولو كان رسول الله قادراً على الكلام لطلبه منه، لقد اشتهى السواك وهو في النزع الأخير.

كانت نظرتة ﷺ، نظرة تعبيرية عن رغبته فيه، ففهمتها عائشة رضي الله عنها فأخذت السواك من أخيها عبد الرحمن، وقطعت أعلاه ثم مضغت طرفه، ثم أعطته إياه. فاستاك به، ثم رفع إصبعه فقال: بل الرفيق الأعلى،

ثم توفي رسول الله.

واحتفظ التاريخ باللقطة الأخيرة، والصورة يبدو فيها رسول الله ﷺ وعبد الرحمن بن أبي بكر وعائشة بنت أبي بكر وعود أراك.

فكان السواك آخر سنة عملها رسول الله، وفي هذا الموقف رسالة لنا معاشر المسلمين، بأن نطبق سنة السواك إلى آخر لحظة في حياتنا. وإذا تأملت أبرز الأدبيات والسلوكيات المرتبطة بالصلاة تجدها مرتبطة بالنظافة والدقة، نظافة دقيقة في المشاعر وفي الجسم، وفي الملابس، وفي الأماكن، ولعل نظافة الفم والأسنان كانت العلامة البارزة للمصلين .

ما نريده هو اتباع هدي النبي ﷺ في السواك للاتباع والاقتداء وليس لخصائص السواك العلاجية وأدائه الأمثل في التنظيف .

نريد الاتباع في هذا الزمن الصعب، اتباع قبل أن يلتفت إليه الغرب ويكتشف مزاياه. والحقيقة أن الغرب التفت إليه فعلاً، وأنشأ مواقع، وصفحات، وأندية، خاصة للسواك. وقامت صناعات تخدم تيسير استخدامه، فضلاً عن المزايا البيئية للسواك، فأشجار الأراك المعروفة علمياً بإسم سيلفادورا بيرسيكا تنمو بشكل طبيعي، والسواك لا يحتوي على مواد كيميائية، ولا يترك نفايات بل إن عصارتها التي يمكن الحصول عليها بالضغط على عصا السواك تحتوي على مواد مطهرة للفم، وتشد اللثة وتقويها.

فهل سيشرق فجر السواك في الغرب وستغيب شمسُه عن الشرق؟

الخاتمة

استودع الله صلاتك.
استودع الله قلبك.
استودعك الله الذي لا تضيع ودائعه.

صديقك الصدوق

صمم هذا الجدول ليكون صديقك الصدوق الذي سيرافقك في مسيرتك نحو صلاتك ومن خلاله ستتمكن من متابعة حضور قلبك أثناء تأدية الصلاة.

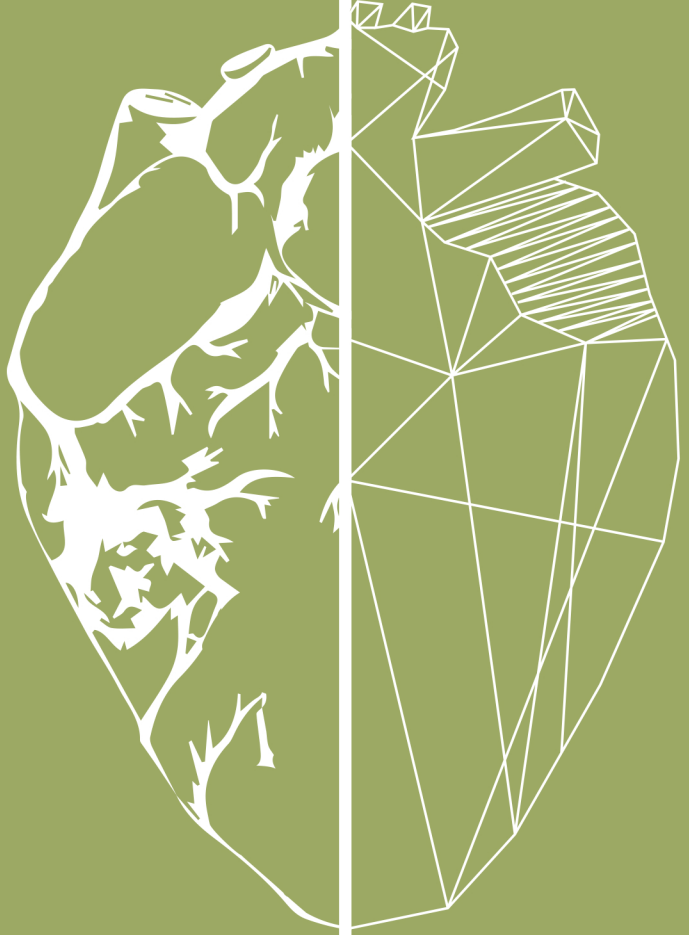
إرشادات الاستخدام:

١. استخدام القلم الرصاص يمكنك من إعادة استخدام الجدول.
٢. وضع رمز <❤> في المربع الخاص إذا كنت راضيًا عن أدائك.
٣. وضع علامة <؟> في المربع الخاص إذا لم تكن راضيًا عن أدائك.
٤. في خانة الملاحظات سجل الشوارد التي أشغلتك في الصلاة.

الملاحظات	حضور القلب	الطمأنينة في الأركان	تدبير قراءة السور	الصلاة
				الفجر
				الظهر
				العصر
				المغرب
				العشاء
				الفجر
				الظهر
				العصر
				المغرب
				العشاء
				الفجر
				الظهر
				العصر
				المغرب
				العشاء

فهرس المحتوى

٥٧	السعداء الأربعة	٣	مقدمة
٦٣	قطرة ماء	٤	إهداء
٦٧	أجواء الجنة	٥	اهتداء
٧١	أقم الصلاة	٦	تقديم
٧٩	طوق النجاة	٩	قبل أن
٨٥	إصغاء قلب	١٣	السؤال الكبير
٩١	السنة الأخيرة	٢١	لماذا نصلي؟
٩٣	الخاتمة	٢٥	إلى أين؟
		٣١	المعنى الحقيقي للحياة
		٣٥	بيوت الله
		٤١	رحلة السماء
		٤٩	نداء



هل تتذكر أول صلاة صليتها؟
كم كان عمرك يا ترى؟
هل تتذكر مشاعر الفرح والبهجة والارتباك؟
هل تتذكر خجلك وابتسامتك قبل أن تبدأ
تجربتك اليمانية الأولى؟
أين ذهب الشوق وكيف غابت الالهفة!
أكتب لنفسني ولك هذه الصفحات.